

كتب الفراشة

كُنُوز تُوت عَنْخ آمُون

أَعَدَّ كُتُبَ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ خُبَراءُ مُتَخَصِّصونَ في المادَّةِ العِلْمِيَّةِ وطُرُقِ تَقْديمِها إلى الأَعِزّاءِ الصِّغارِ. وعُرِضَتِ الحَقائِقُ عَرْضًا مُبَسَّطًا مَنْطِقِيًّا يَصِلُ بَيْنَ الماضي والحاضِرِ، ويُلَبّي تَطَلُّعاتِ أَبْنائِنا ويَسْتَبِقُ أَسْئِلَتَهُمْ، حَتّى لَتَبْدُوَ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ مَوْسوعَةً مُبَسَّطَةً تُغَذّي العُقولَ الفَتِيَّةَ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُشَجِّعُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ. وزُيِّنَتِ الصَّفَحاتُ جَميعًا بِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ نابِضَةٍ، تُوَضِّحُ الأَفْكارَ وتُنَمّي الحِسَّ بِالجَمالِ.

كُنُوز
تُوت عَنْخ آمُون

تأليف: عشم بسادة

نقله إلى العربية: ڤيكتور جرجس عوض الله   وجدي رزق غالي



مكتبة لبنان ناشرون




هَوارْد كارْتَر (إلى اليَسار) وَلورْد كارْنارْفون، اللَّذانِ اكْتَشَفا مَقْبَرَةَ تُوت عَنْخ آمُون.

الكَشْفُ الأَثَرِيُّ العَظيمُ

في أَواخِرِ خَريفِ عامِ ١٩٢٢، انْبَهَرَ العالَمُ بِكَشْفٍ هامٍّ وَقَعَ في مِصْرَ. فَفي سَفْحِ أَحَدِ التِّلالِ القَريبَةِ مِنْ مَدينَةِ الأُقْصُرِ، الَّتي تَبْعُدُ حَوالي ٧٢٠ كيلومِتْرًا جَنوبَ القاهِرَةِ، اُكْتُشِفَتْ مَقْبَرَةُ فِرْعَوْنَ صَغيرِ السِّنِّ. وَقَدْ عُثِرَ بِداخِلِ المَقْبَرَةِ عَلى كُنوزٍ لا تُقَدَّرُ بِقيمَةٍ، ظَلَّتْ مَحْفوظَةً أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ آلافِ سَنَةٍ تَحْتَ الأَرْضِ.

وَلَقَدِ اكْتَشَفَ هٰذِهِ المَقْبَرَةَ بِريطانِيّانِ، هُما هَوارد كارْتَر وَلورْد كارْنارْفون. وَكانَ لورْد كارْنارْفون ثَرِيًّا، وَقَدْ جاءَ إلى مِصْرَ عامَ ١٩٠٣ عَمَلًا بِنَصيحَةِ طَبيبِهِ بِأَنْ يَقْضِيَ الشِّتاءَ في بَلَدٍ دافِئٍ. وَتَوَلَّدَ لَدَيْهِ اهْتِمامٌ

بِعِلْمِ الآثارِ وَالبَحْثِ عَنْ آثارِ المِصْرِيِّينَ القُدَماءِ. وَلَمّا لَمْ يَكُنْ خَبيرًا بِهذِهِ المَجالاتِ، فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَهُ عامَ ١٩٠٧ هَوارد كارْتَر، الَّذي لَمْ يَكُنْ رَجُلًا عادِيًّا. فَقَدْ كانَ يَمْلِكُ طاقَةً وَإِرادَةً غَيْرَ عادِيَّيْنِ، بِالإِضافَةِ إِلى عَقْلِيَّةِ الباحِثِ المُدَقِّقِ. وَكانَتْ دِرايَتُهُ بِعِلْمِ الآثارِ واسِعَةً عَلى الرَّغْمِ مِنْ تَعْليمِهِ البَسيطِ. وَكانَ الرَّجُلانِ يَشْتَرِكانِ في حُبِّ المُغامَرَةِ، وَكانا مُتَحَمِّسَيْنِ لِلْبَحْثِ عَنِ الكُنوزِ.



مِصْرُ في عَهْدِ تُوت عَنْخ آمُون.
الأَسْماءُ الحَديثَةُ مُبَيَّنَةٌ بين قَوْسَيْنِ.

بَدَأَ كارْتَر وَكارْنارْڤون أَعْمالَ الحَفْرِ في وادي المُلوكِ، وَهُوَ المَكانُ الَّذي دَفَنَ فيهِ المِصْرِيّونَ القُدَماءُ مُلوكَهُمُ الفَراعِنَةَ، ابْتِداءً مِنْ عامِ ١٥٥٠ ق.م. فَصاعِدًا. وَفي هذا المَكانِ كانَ قَدْ سَبَقَ اكْتِشافُ حَوالي ثَلاثينَ مَقْبَرَةً مَلَكِيَّةً، إِلّا أَنَّ اللُّصوصَ نَهَبوا مُحْتَوياتِ كُلٍّ مِنْها. وَكانَ الكَثيرُ مِنَ النّاسِ يَعْتَقِدونَ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ في هذا المَكانِ مَقابِرُ لَمْ يَتِمَّ الكَشْفُ عَنْها، وَلٰكِنَّ كارْتَر وَكارْنارْڤون كانا عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُ لا تَزالُ في وادي المُلوكِ مَناطِقُ لَمْ يُحْسَنْ كَشْفُها.

وَفَضْلًا عَنْ ذٰلِكَ، فَإِنَّهُما كانا يَأْمُلانِ في العُثورِ عَلى مَقْبَرَةِ مَلِكٍ بِعَيْنِهِ، هُوَ تُوت عَنْخ آمُون. فَقَدْ كانَ هذا، بِالنِّسْبَةِ لِكارْتَر، أَهَمَّ شَيْءٍ في حَياتِهِ، لِأَنَّهُ كانَ مُقْتَنِعًا بِأَنَّ المَقْبَرَةَ مَوْجودَةٌ، مِنْ قِراءَتِهِ لِحُكْمِ تُوت عَنْخ آمُون عَلى أَحَدِ أَعْمِدَةِ مَعْبَدِ الكَرْنَكِ. وَمِنْ فَحْصِهِ لِكُلِّ مُومْياواتِ فَراعِنَةِ هذا العَصْرِ وَقِراءاتِهِ عَنْها، تَأَكَّدَ لَهُ أَنَّ مومْياءَ تُوت عَنْخ آمُون لَمْ يَتِمَّ العُثورُ عَلَيْها.

وَواصَلَ كارْتَر البَحْثَ لِمُدَّةِ سِتِّ سَنَواتٍ بِلا جَدْوى. وَفي عامِ ١٩٢٢، وَفي آخِرِ مَوْسِمٍ شَتَوِيٍّ حَدَّدَهُ كارْنارْڤون لِدَفْعِ نَفَقاتِ البَعْثَةِ الاِسْتِكْشافِيَّةِ، كُلِّلَتْ جُهودُ كارْتَر وَإِصْرارُهُ بِالنَّجاحِ.



الدَّرَجاتُ السُّتَّ عَشْرَةَ المُؤَدِّيَةُ إلى المَقْبَرَةِ.

شاهَدَ كارْتَر، بِالقُرْبِ مِنْ مَقْبَرَةِ المَلِكِ رَمْسيسَ السّادِسِ، عَدَدًا مِنَ الأَكْواخِ الحَجَرِيَّةِ، اعْتَقَدَ أَنَّها خاصَّةٌ بِالعُمّالِ الَّذين كانوا يَعْمَلونَ في بِناءِ المَقابِرِ القَديمَةِ. وَأَزالَ عُمّالُ كارْتَر عَديدًا مِنْ هٰذِهِ الأَكْواخِ في ٤/ ١١/ ١٩٢٢. وَبَيْنَما كانوا عَلى وَشْكِ الحَفْرِ في باطِنِ الأَرْضِ عَثَروا عَلى دَرَجَةِ سُلَّمٍ مَنْحوتَةٍ في الصَّخْرِ. وَبِمُواصَلَةِ الحَفْرِ كَشَفوا مَزيدًا مِنَ الدَّرَجاتِ، فَأَحْيا هذا الكَشْفُ الأَمَلَ في نُفوسِهِمْ.

وَفي ٦ نوفِمْبِر، أَرْسَلَ كارْتَر بَرْقِيَّةً إلى كارْنارْفون بِإِنْجِلْتِرا، جاءَ فيها: «أَخيرًا قُمْتُ بِاكْتِشافٍ مُدْهِشٍ في الوادي؛ مَقْبَرَةٌ رائِعَةٌ بِأَخْتامٍ سَليمَةٍ احْتَفَظْتُ بِها لِحينِ وُصولِكَ. تَهْنِئَتي لَكَ!» وَوَصَلَ كارْنارْفون الأُقْصُرَ في ٢٣ نوفِمْبِر، وَفي اليَوْمِ التّالي كُشِفَتِ الدَّرَجاتُ مَرَّةً أُخْرى.

وَكانَتْ أَخْتامُ الجُزْءِ العُلْوِيِّ مِنَ البابِ هِيَ أَخْتامَ الجَبّانَةِ المَلَكِيَّةِ. وكانَ عَلى الجُزْءِ السُّفْلِيِّ اسْمُ تُوت عَنْخ آمُون، وَقَدْ أَمْكَنَ حَلُّ رُموزِهِ، وَكانَ هذا مِنْ دَواعي سُرورِ المُكْتَشِفَيْنِ. إلّا أَنَّ فَرَحَهُما لَمْ يَدُمْ؛ فَقَدْ كانَ ثَمَّةَ آثارُ فُتْحَتَيْنِ في البابِ أَحْدَثَهُما لُصوصُ المَقابِرِ وَتَسَلَّلا مِنْهُما إلى الدّاخِلِ.



وَفي اليَوْمِ التّالي أُزيلَ البابُ المَخْتومُ، فَظَهَرَتْ رَدْهَةٌ هابِطَةٌ مَليئَةٌ بِالأَحْجارِ. وَشَرَعَ العُمّالُ في تَنْظيفِها، وَتَبَيَّنوا أَنَّها تُؤَدّي إِلى بابٍ آخَرَ مَخْتومٍ. وَكانَ يَوْمُ السّادِسِ وَالعِشْرينَ مِنْ نوفِمْبِر أَسْعَدَ أَيّامِ حَياةِ كارْتَر، فَقَدْ كَتَبَ عَنْهُ يَقولُ: «كانَ هذا اليَوْمُ أَعْظَمَ الأَيّامِ، وَأَرْوَعَ ما عِشْتُ في حَياتي... وَوَقَفْنا نُشاهِدُ عَمَلِيَّةَ إِزالَةِ البَقايا الَّتي كانَتْ تُغَطّي الجُزْءَ السُّفْلِيَّ مِنَ البابِ، وَعِنْدَما كُشِفَ بِأَكْمَلِهِ أَمامَنا، حَلَّتِ اللَّحْظَةُ الحاسِمَةُ. وَأَحْدَثْتُ بِيَدَيْنِ مُرْتَعِشَتَيْنِ فُتْحَةً صَغيرَةً في الرُّكْنِ العُلْوِيِّ مِنْ جِهَةِ اليَسارِ، وَأَدْخَلْتُ مِنْ خِلالِها شَمْعَةً، وَحَمْلَقْتُ إِلى الدّاخِلِ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا في بادِئِ الأَمْرِ، وَلكِنْ عِنْدَما اعْتادَتْ عَيْنايَ هذا الضَّوْءَ الخافِتَ اتَّضَحَتْ لي تَفاصيلُ مُحْتَوَياتِ القاعَةِ بِالتَّدْريجِ؛ مِنْ تَماثيلِ حَيَواناتٍ غَريبَةٍ، وَتَماثيلَ آدَمِيَّةٍ، وَذَهَبٍ كانَ بَريقُهُ يُشاهَدُ في كُلِّ رُكْنٍ. وَمِنْ فَرْطِ دَهْشَتي عُقِدَ لِساني!»



خِتْمُ أَرْضِ الدَّفْنِ المَلَكِيَّةِ الَّذي وُجِدَ عَلى بابِ المَقْبَرَةِ.

الغُرْفَةُ الخارِجِيَّةُ

في اليَوْمِ التّالي هُدِمَ البابُ المَسْدودُ الَّذي عُثِرَ عَلَيْهِ في نِهايَةِ المَمَرِّ الهابِطِ. وَدَخَلَ كارْتَر وَكارْنارْفون غُرْفَةً صَغيرَةً سَمَّياها الغُرْفَةَ الخارِجِيَّةَ.

وَكانَتْ تَجْرِبَةً غَيْرَ عادِيَّةٍ؛ فَقَدْ وَجَدا نَفْسَيْهِما واقِفَيْنِ في غُرْفَةٍ مَليئَةٍ بِالمَشْغولاتِ الذَّهَبِيَّةِ المُتَأَلِّقَةِ والأَحْجارِ الكَريمَةِ، وَبَدَتْ وَكَأَنَّها صُنِعَتْ بِالأَمْسِ فَقَطْ؛ إلّا أَنَّ الحَقيقَةَ أَنَّ المَكانَ لَمْ يَكُنْ قَدْ طَرَقَهُ إنْسانٌ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ آلافٍ وَمِائَتَيْ سَنَةٍ.

ولَمْ تَكُنْ هذِهِ الغُرْفَةُ هِيَ المَقْبَرَةَ نَفْسَها، فَلَمْ يَكُنْ فيها أَثَرٌ لِتابوتٍ وَلا موميْاءَ. وَكانَ هذا يَعْني أَنَّهُ ثَمَّةَ غُرَفٌ أُخْرى في المَقْبَرَةِ. وَمَعَ ذلِكَ فَإِنَّ مُحْتَوَياتِ هذِهِ الغُرْفَةِ كانَتْ تَفوقُ الخَيالَ، بِشَكْلٍ يَجْعَلُ مِنْ كارْتَر شَخْصِيَّةً شَهيرَةً في العالَمِ بِأَسْرِهِ. وَبِفَرْضِ أَنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ عَلى أَشْياءَ أُخْرى، فَإِنَّهُ يَكونُ قَدْ قَدَّمَ لِلنّاسِ أَخيرًا ما يُمَكِّنُهُمْ مِنْ مَعْرِفَةِ مَظاهِرِ الحَياةِ في قُصورِ الفَراعِنَةِ.

الغُرْفَةُ الخارِجِيَّةُ

مَمَرٌّ

دَرَجاتُ سُلَّمٍ

رَسْمٌ تَخْطيطِيٌّ لِلْمَقْبَرَةِ يُبَيِّنُ الغُرْفَةَ الخارِجِيَّةَ.



كُرْسِيُّ العَرْشِ الذَّهَبِيُّ.



سَريرٌ عَلى شَكْلِ حَيَوانٍ.

وَعُثِرَ بِجوارِ أَحَدِ جُدْرانِ الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ عَلى ثَلاثَةِ أَسِرَّةٍ كَبيرَةٍ عَلى شَكْلِ حَيَواناتٍ سِحْرِيَّةٍ. وَكانَ أَحَدُها في شَكْلِ بَقَرَتَيْنِ، وَالثّاني في شَكْلِ اثْنَيْنِ مِنْ أَفْراسِ النَّهْرِ، والثّالِثُ في شَكْلِ أَسَدَيْنِ رَأْساهُما مُذَهَّبانِ يَكْشِفانِ عَنْ لِسانَيْنِ حَمْراوَيْنِ وَأَنْيابٍ بَيْضاءَ.

كَما عُثِرَ أَيْضًا في الغُرْفَةِ نَفْسِها عَلى العَديدِ مِنَ المَقاعِدِ الَّتي بِلا ظُهورٍ وَالكَراسِيِّ، وَلَمْ تَكُنْ عَلى شَكْلِ حَيَواناتٍ وَلَكِنَّها كانَتْ ذاتَ أَرْجُلٍ حَيَوانِيَّةٍ لَها مَخالِبُ، وَكانَ لِأَحَدِ هذِهِ الكَراسِيِّ ذَيْلٌ.

وَكانَ مِنْ أَجْمَلِ الأَشْياءِ الَّتي عُثِرَ عَلَيْها في الحُجْرَةِ الخارِجِيَّةِ كُرْسِيٌّ ذَهَبِيٌّ رائِعٌ بَيْنَ كَراسِيِّ العَرْشِ.



زَهْرِيَّةٌ مِنَ المَرْمَرِ.



مَقْعَدٌ بِلا ظَهْرٍ يُطْوى.



صُنْدوقٌ خَشَبِيٌّ نَقّالٌ.





وَكانَتْ ثَمَّةَ أَشْياءُ أُخْرى عَديدَةٌ في الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ تَكْفي لِتَزْيينِ غُرَفِ قَصْرٍ بِأَكْمَلِهِ. وَهذِهِ الأَشْياءُ هِيَ عُلَبٌ لِحِفْظِ النَّفائِسِ، وَصَناديقُ مِنَ الخَشَبِ أَوِ العاجِ عَلَيْها مَناظِرُ مَحْفورَةٌ أَوْ مُصَوَّرَةٌ وَمُغَطّاةٌ بِالذَّهَبِ والمَرْمَرِ، وَزَهْرِيّاتٌ عَلى شَكْلِ أَزْهارٍ، وَكَأْسٌ عَلى شَكْلِ زَهْرَةِ اللُّوتَس - وَهِيَ الزَّهْرَةُ المُفَضَّلَةُ عِنْدَ المِصْرِيّينَ القُدَماءِ.

وَتَحْكي لَنا الرُّسومُ الَّتي تُزَيِّنُ هذِهِ الأَشْياءَ العَديدَةَ، الحَياةَ في عَصْرِ تُوت عَنْخ آمُون. وَنُشيرُ عَلى سَبيلِ المِثالِ إلى مَقْصورَةٍ صَغيرَةٍ ذَهَبِيَّةٍ، صُنِعَتْ لِتَضُمَّ أَشْياءَ ثَمينَةً دينِيَّةً بِصِفَةٍ خاصَّةٍ، عَلَيْها صُوَرُ المَلِكِ الصَّغيرِ تُوت عَنْخ آمُون وَكَذلِكَ المَلِكَةُ أَثْناءَ حَياتِهِما العادِيَّةِ. وَعَلى صُنْدوقٍ مِنَ الخَشَبِ توجَدُ صُوَرُ تُوت عَنْخ آمُون وَهُوَ يَصْطادُ، وَكَذلِكَ أَثْناءَ الحَرْبِ. كَما توجَدُ صورَةٌ عَلى إِبْزيمٍ ذَهَبِيٍّ تُبَيِّنُهُ راكِبًا عَجَلَةً حَرْبِيَّةً عائِدًا إلى وَطَنِهِ مِنَ الحَرْبِ.

وَفي أَحَدِ أَرْكانِ الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ وُجِدَتْ كَوْمَةٌ مِنَ العَجَلاتِ الحَرْبِيَّةِ المُفَكَّكَةِ وَعِنْدَما رَأى كارْتَر الإِبْزيمَ اسْتَطاعَ أَنْ يَتَصَوَّرَ إِعادَةَ تَرْكيبِ العَجَلاتِ الحَرْبِيَّةِ مَرَّةً أُخْرى

(إلى اليَمينِ) العَجَلاتُ الحَرْبِيَّةُ كَما وُجِدَتْ في الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ.

الإِبْزيمُ الذَّهَبِيُّ يُصَوِّرُ عَجَلَةً حَرْبِيَّةً





المَقْصورَةُ الذَّهَبِيَّةُ الَّتي سُرِقَ مِنْها تِمْثالٌ



أَثَرا قَدَمَيْنِ عَلى القاعِدَةِ وُجِدا في المَقْصورَةِ الذَّهَبِيَّةِ.



وَكانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّ اللُّصوصَ اسْتَطاعوا في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ أَنْ يَتَسَلَّلوا داخِلَ المَقْبَرَةِ، وَيَعْبَثوا بِكُلِّ شَيْءٍ، في مُحاوَلَةٍ لِلْعُثورِ عَلى الذَّهَبِ. وَيَبْدو أَنَّ المَسْئولينَ -بَعْدَ حادِثِ السَّرِقَةِ في مِنْطَقَةِ المَقابِرِ- حاوَلوا تَنْظيمَ الأَشْياءِ في المَقْبَرَةِ، بِتَعْبِئَةِ الأَشْياءِ الصَّغيرَةِ في صَناديقَ. وَلَكِنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَعْرِفَ المَكانَ الأَصْلِيَّ لِكُلِّ قِطْعَةٍ مِنْ خِلالِ القائِمَةِ الَّتي عُثِرَ عَلَيْها. فَعَلى سَبيلِ المِثالِ، وُجِدَ صُنْدوقٌ كانَ مِنَ المَفْروضِ أَنْ يَحْتَوِيَ عَلى عِصِيٍّ وَأَقْواسٍ وَسِهامٍ، إِلّا أَنَّهُ كانَ يَحْوي مَجْموعَةً كامِلَةً مِنَ المَلابِسِ الدّاخِلِيَّةِ حُشِرَتْ فيهِ حَتّى آخِرِهِ. وَلَعَلَّ أَهَمَّ ما نَهَبَهُ اللُّصوصُ كانَ مِنَ المَقْصورَةِ الذَّهَبِيَّةِ - وَهُوَ تِمْثالٌ كانَ واقِفًا داخِلَها، وَلا يَتَبَقّى مِنْهُ الآنَ سِوى آثارِ أَقْدامِهِ الباهِتَةِ. وَلَقَدِ اسْتَطاعَ كارْتَر أَنْ يُحَدِّدَ تاريخَ السَّرِقاتِ، وَأَنْ يُرْجِعَ ذَلِكَ إِلى ما قَبْلَ بِناءِ مَقْبَرَةِ رَمْسيس السّادِسِ، لِأَنَّ أَكْواخَ البَنّائينَ الَّذينَ شَيَّدوا تِلْكَ المَقْبَرَةَ، كانَتْ تَسُدُّ مَدْخَلَ مَقْبَرَةِ المَلِكِ تُوت عَنْخ آمُون. كَما أَنَّ المَسْئولينَ أَعادوا خَتْمَ المَقْبَرَةِ بِخاتِمِ المُلْكِ، وَهَذا الخاتِمُ يَدُلُّ عَلى أَنَّهُ وُضِعَ بَعْدَ مَوْتِ تُوت عَنْخ آمُون بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ عامًا.

خَواتِمُ مَلْفوفَةٌ في وِشاحٍ، يُعْتَقَدُ أَنَّ اللُّصوصَ أَسْقَطوهُ.

وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنَّ اللُّصوصَ لَمْ يَسْتَوْلوا إِلّا عَلى القَليلِ جِدًّا. وَيَعْتَقِدُ كارْتَر أَنَّهُمْ إِمّا ضُبِطوا مُتَلَبِّسينَ بِالسَّرِقَةِ داخِلَ المَقْبَرَةِ، وَإِمّا قُبِضَ عَلَيْهِمْ خارِجَ المَقْبَرَةِ يَحْمِلونَ المَسْروقاتِ. وَيَسوقُ كارْتَر الحُجَّةَ الَّتي تُؤَيِّدُ نَظَرِيَّتَهُ وَهِيَ أَنَّهُ عَثَرَ عَلى ثَمانِيَةِ خَواتِمَ مِنَ الذَّهَبِ مَلْفوفَةً في وِشاحٍ، وَمِنَ الواضِحِ أَنَّ هذِهِ الطَّريقَةَ لَيْسَتْ مِنْ فِعْلِ المَسْؤولينَ عَنِ المَقْبَرَةِ، وَإِنَّما هِيَ إِحْدى الأَسْلابِ الَّتي أَسْقَطَها اللُّصوصُ

وَكانَ مِنَ الضَّروريِّ أَنْ يَقومَ كارْتَر وَرِجالُهُ بِإِخْلاءِ الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ مِنْ كُلِّ مُحْتَوَياتِها، قَبْلَ مُحاوَلَتِهِمْ دُخولَ غُرْفَةِ الدَّفْنِ وَبَدَأَ بِتَصْويرِ جَميعِ الأَشْياءِ لِتَسْجيلِ حالَتِها لَحْظَةَ اكْتِشافِها. وَلَمْ يَكُنْ إِخْلاءُ الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ سَهْلًا، لِأَنَّ الكَثيرَ مِنَ المُحْتَوَياتِ كانَ في حالَةِ تَحَلُّلٍ شَديدٍ، الأَمْرُ الَّذي تَطَلَّبَ مُعالَجَةَ بَعْضِ الأَشْياءِ في مَكانِها وَإِلّا تَحَوَّلَتْ إِلى رَمادٍ. وَعَلى سَبيلِ المِثالِ، كانَ هُناكَ بَعْضُ الصَّناديقِ المَصْنوعَةِ مِنْ حَبّاتِ الخَرَزِ، وَقَدْ تَهَرَّأَتْ خُيوطُها تَمامًا.

وَنُقِلَتِ الأَشْياءُ إِلى مَقْبَرَةِ المَلِكِ سيتي الثّاني الخالِيَةِ، والَّتي تَقَعُ في مَكانٍ مُنْعَزِلٍ في وادي المُلوكِ وَتَحَوَّلَتْ مَقْبَرَةُ المَلِكِ سيتي إِلى مَعْمَلٍ، حَيْثُ كانَتِ الأَشْياءُ تُنَظَّفُ وتُرَمَّمُ وَتُقَوّى قَبْلَ أَنْ تُرْسَلَ إِلى المُتْحَفِ المِصْرِيِّ بِالقاهِرَةِ

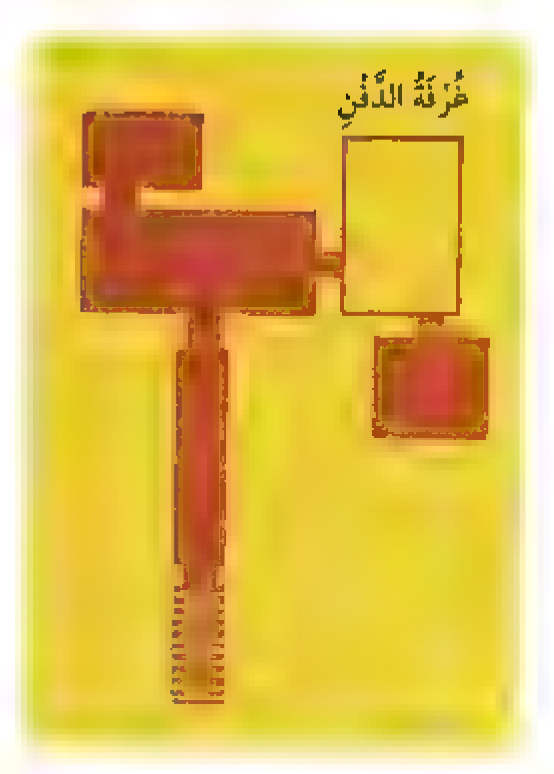


بَعْضُ مُحْتَوَياتِ المَقْبَرَةِ تُنْقَلُ بِواسِطَةِ سِكَّةٍ حَديدِيَّةٍ أُنْشِئَتْ عَلى عَجَلٍ، لِلْعَمَلِ عَلى تَأْمينِ حِفْظِها

غُرْفَةُ الدَّفْنِ

عَثَرَ كارْتَر عَلى مَلامِحِ مَدْخَلٍ آخَرَ مَخْتومٍ، فاعْتَقَدَ أَنَّهُ يُؤَدّي إِلى غُرْفَةِ الدَّفْنِ وَالمَقْبَرَةِ نَفْسِها. وَكانَ يَحْرُسُ هذا المَدْخَلَ تِمْثالانِ سَوْداوانِ مَطْلِيّانِ بِالذَّهَبِ وَبِالحَجْمِ الطَّبيعِيِّ، وَيَقِفانِ مُتَواجِهَيْنِ. غَيْرَ أَنَّهُ كانَتْ ثَمَّةَ أَماراتٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّ اللُّصوصَ قَدْ تَسَلَّلُوا مِنْ هذا المَدْخَلِ.

وَأَحْدَثَ كارْتَر فُتْحَةً صَغيرَةً في الجِدارِ، وَقَدِ اعْتَقَدَ بادِئَ ذي بَدْءٍ أَنَّهُ سَيَرى في الدّاخِلِ جِدارًا مِنَ الذَّهَبِ، وَلكِنَّهُ أَدْرَكَ بَعْدَ ذلِكَ أَنَّهُ أَحَدُ جَوانِبِ مَقْصورَةٍ هائِلَةٍ. وَعِنْدَما انْتَهى مِنْ إِزالَةِ آخِرِ حَجَرٍ في الجِدارِ الَّذي يَفْصِلُ الغُرْفَتَيْنِ، دَخَلَ المَقْبَرَةَ، وَوَجَدَ المَقْصورَةَ تَمْلَأُ الغُرْفَةَ تَمامًا. وَتَوَقَّعَ أَنْ تَحْتَوِيَ عَلى مومْياءِ تُوت عَنْخ آمُون.



رَسْمٌ تَخْطيطِيٌّ لِلْمَقْبَرَةِ يُبَيِّنُ غُرْفَةَ الدَّفْنِ

التِّمْثالانِ يَحْرُسانِ المَدْخَلَ إِلى غُرْفَةِ الدَّفْنِ

كانَ بابُ المَقْصورَةِ مُغْلَقًا بِمِزْلاجٍ، وَفَتَحَهُ كارْتَر، ثُمَّ أَزاحَ بِخِفَّةٍ السِّتارَ الرَّقيقَ المُعَلَّقَ خَلْفَهُ وَحَلَّتِ اللَّحْظَةُ الحاسِمَةُ، وَوَجَدَ كارْتَر حَلْقَتَيْنِ كَبيرَتَيْنِ مِنَ البُرونْزِ في وَسَطِ ضَلْفَتَيْ بابِ المَقْصورَةِ التّالِيَةِ وَكانَ ثَمَّةَ حَبْلٌ مُضَفَّرٌ بِعِنايَةٍ بَيْنَ هاتَيْنِ الحَلْقَتَيْنِ، والأَهَمُّ مِنْ ذلِكَ خَتْمٌ سَليمٌ لَمْ يُفَضَّ مُثَبَّتٌ في الحَبْلِ لَقَدْ أَوْشَكَتْ آمالُ كارْتَر العَريضَةُ أَنْ تَتَحَقَّقَ؛ فالمَقْبَرَةُ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ عَبَثَ بِها أَحَدٌ، وَسَيَكونُ في مَقْدورِهِ أَنْ يَرى مومْياءَ المَلِكِ تُوت عَنْخ آمُون وَسْطَ مَظاهِرِ الأُبَّهَةِ والرَّوْعَةِ الَّتي أَحاطَتْ بِهِ مُنْذُ أَنْ دُفِنَ.

وَقَدْ كانَ مُقَرَّرًا عَدَمُ دُخولِ هذِهِ العَناصِرِ حَتّى العامِ التّالي، غَيْرَ أَنَّ المَنِيَّةَ عاجَلَتْ لورْد كارْنارْفون قَبْلَ انْقِضاءِ العامِ، وَهكَذا حَرَمَهُ المَوْتُ مِنْ لَحْظَةِ مُشاهَدَةِ أَعْظَمِ الكُنوزِ


الخَتْمُ السَّليمُ عَلى بابِ المَقْصورَةِ

رَسْمٌ تَوْضيحِيٌّ لِلتَّوابيتِ الآدَمِيَّةِ الشَّكْلِ الثَّلاثَةِ، والتَّابوتِ الحَجَرِيِّ والمَقْصُوراتِ الأَرْبَعِ الَّتي كانَتْ تَحْتَوي عَلى مومْياءِ تُوت عَنْخ آمُون.

المَقْصُوراتُ الأَرْبَعُ

غِطاءُ التّابوتِ الحَجَرِيِّ

(مِنَ الجرانيتِ الأَحْمَرِ الوَرْدِيِّ)

غِطاءُ التّابوتِ الثّالِثِ الآدَمِيِّ الشَّكْلِ (خَشَبٌ وَطِلاءٌ ذَهَبِيٌّ)

غِطاءُ التّابوتِ الثّاني الآدَمِيِّ الشَّكْلِ (طِلاءٌ ذَهَبِيٌّ وَزُجاجٌ)

غِطاءُ التّابوتِ الأَوَّلِ الآدَمِيِّ الشَّكْلِ (ذَهَبٌ وَزُجاجٌ)

مومْياءُ تُوت عَنْخ آمُون

قِناعٌ جَنائِزِيٌّ (ذَهَبٌ وَزُجاجٌ) وَمومْياءُ

قاعِدَةُ التّابوتِ الأَوَّلِ الآدَمِيِّ الشَّكْلِ (ذَهَبٌ وَزُجاجٌ)

قاعِدَةُ التّابوتِ الثّاني الآدَمِيِّ الشَّكْلِ (طِلاءٌ ذَهَبِيٌّ وَزُجاجٌ)

قاعِدَةُ التّابوتِ الثّالِثِ الآدَمِيِّ الشَّكْلِ (خَشَبٌ وَطِلاءٌ ذَهَبِيٌّ)

التّابوتُ الحَجَرِيُّ (كوارْتزيت بُنِّيٌّ)

لَمْ يَهْتَمَّ شَعْبٌ مِنْ شُعوبِ العالَمِ بِمَقابِرِهِ، وَلَمْ يَبْذُلْ مِنَ المالِ وَالجَهْدِ في بِنائِها قَدْرَ ما بَذَلَهُ المِصْرِيُّونَ القُدَماءُ، وَلَقَدْ فَعَلوا كُلَّ ذلِكَ لِأَنَّهُم كانوا يَعْتَقِدونَ بِأَنَّ الَّذي يَموتُ سَوْفَ يَحْيا ثانِيَةً وَسَيَسْتَمْتِعُ بِالحَياةِ في عالَمٍ آخَرَ، وَأَنَّ المَوْتى سَيَحْتاجونَ إلى أَجْسادِهِمْ ثانِيَةً؛ وَلِذلِكَ كانَ الحِفاظُ عَلى الجَسَدِ وَحِمايَةُ المومْياءِ مِنْ أَكْثَرِ الأُمورِ حَيَوِيَّةً. وَهذا هُوَ السَّبَبُ في بِناءِ المَقابِرِ بِمِثْلِ تِلْكَ العِنايَةِ. وَلَقَدْ بُنِيَتِ الأَهْرامُ بِما تَحْتَويهِ مِنْ مَمَرّاتٍ سِرِّيَّةٍ وَمَداخِلَ خَفِيَّةٍ لِدَفْنِ الفَراعِنَةِ، إلّا أَنَّ اللُّصوصَ اسْتَطاعوا أَنْ يَتَسَلَّلوا إِلَيْه لِيَسْتَوْلوا عَلى ما بِداخِلِها مِنْ كُنوزٍ. وَرَغْمَ أَنَّ المُلوكَ دُفِنوا فيما بَعْدُ، في مَقابِرَ مَحْفورَةٍ في الصَّخْرِ، بَعيدًا عَنِ الأَعْيُنِ، مِثْلِ مَقْبَرَةِ تُوت عَنْخ امُون، إلّا أَنَّ اللُّصوصَ عَثَروا عَلَيْها كُلِّها إلّا واحِدَةً.

كانَتِ المومْياءُ في غُرْفَةِ دَفْنِ تُوت عَنْخ آمُون مَحْفوظَةً في أَرْبَعِ مَقْصُوراتٍ وَتابوتٍ حَجَرِيٍّ ضَخْمٍ وَثَلاثَةِ تَوابيتَ آدَمِيَّةٍ. وَلَقَدْ ظَلَّ كارْتَر وَرِجالُهُ يَعْمَلونَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمانينَ يَوْمًا في فَكِّ أَجْزاءِ المَقْصُوراتِ الأَرْبَعِ، لِما تَطَلَّبَتْهُ هذِهِ العَمَلِيَّةُ مِنْ عِنايَةٍ فائِقَةٍ. وَعِنْدَما رُفِعَتِ المَقْصُورَةُ الرّابِعَةُ ظَهَرَ التّابوتُ الحَجَرِيُّ الرّائِعُ المُزَيَّنُ بِالنُّقوشِ وَالنُّصوصِ الهيروغْليفِيَّةِ - وَهِيَ اللُّغَةُ المِصْرِيَّةُ القَديمَةُ الَّتي كانَتْ حُروفُها عِبارَةً عَنْ صُوَرٍ.

التّابوتُ الحَجَرِيُّ.



وَعِنْدَما نَجَحَ الرِّجالُ في رَفْعِ غِطاءِ هذا التّابوتِ الحَجَرِيِّ، الَّذي يَبْلُغُ وَزْنُهُ أَكْثَرَ مِنْ طُنٍّ، رَأَوْا بِداخِلِهِ مَنْظَرًا عَجيبًا لِتابوتٍ آدَمِيٍّ في شَكْلِ المَلِكِ، مُغَطًّى بِصَفائِحَ ذَهَبِيَّةٍ. وَكانَتْ يَداهُ مُتَقاطِعَتَيْنِ عَلى صَدْرِهِ، وَتُمْسِكانِ بِالمِذَبَّةِ (المِنَشَّةِ) وَالصَّوْلَجانِ (عَصا المُلْكِ)، وَهُما العَلامَتانِ المَلَكِيَّتانِ وَكانَ عَلى رِداءِ الرَّأْسِ رَمْزانِ إِلهِيّانِ هُما الحَيَّةُ والعُقابُ، وَيُحيطُ بِهِما إِكْليلٌ دَقيقٌ مِنَ الزُّهورِ الذّابِلَةِ لَعَلَّ عَنْخ إِسْ إِنْ آمُون قَدْ وَضَعَتْهُ بِيَدَيْها الرَّقيقَتَيْنِ

وَكانَ هذا التّابوتُ الآدَمِيُّ يَحْتَوي عَلى تابوتَيْنِ آخَرَيْنِ، الواحِدَ داخِلَ الآخَرِ، وَكانَ التّابوتُ الثّاني يُشْبِهُ الأَوَّلَ تَقْريبًا، أَمّا الثّالِثُ فَقَدْ أَدْهَشَ الجَميعَ إِذْ كانَ طولُهُ حَوالَي مِتْرَيْنِ، وَوَزْنُهُ حَوالي ١١١٠ كيلوجراماتٍ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ! وَكَمْ مِنْ عَجائِبَ أُخْرى كانَتْ في انْتِظارِ كارْتَر وَفَريقِهِ! فَعِنْدَما رُفِعَ الغِطاءُ الذَّهَبِيُّ لِلتّابوتِ الأَخيرِ بَعْدَ مَشَقَّةٍ، ظَهَرَتْ مومْياءُ المَلِكِ. وَكانَ جِسْمُهُ مَلْفوفًا في لَفائِفَ مِنَ الكَتّانِ وَوُضِعَ عَلى الرَّأْسِ وَالكَتِفَيْنِ أَعْظَمُ كُنوزِ المَقْبَرَةِ، وَهُوَ القِناعُ الرّائِعُ لِلْمَلِكِ تُوت عَنْخ آمُون، وَالمَصْنوعُ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ، وَالَّذي يَحْتَوي رِداءُ الرَّأْسِ فيهِ (المُسَمَّى بِاللُّغَةِ المِصْرِيَّةِ نِمِس) عَلى شَرائِطَ مِنْ حَجَرِ اللّازَوَرْدِ الأَزْرَقِ الثَّمينِ. وَكانَ عَلى وَجْهِ فِرْعَوْنَ الجَميلِ تَرْتَسِمْ آياتُ الطُّمَأْنينَةِ والثِّقَةِ



تابوتُ تُوت عَنْخ آمُون الذَّهَبِيُّ

قِناعُ تُوت عَنْخ آمُون



قِلادةُ العُقابِ، رَمْزُ حِمايةِ الإلهَةِ نِخْبِتْ.



صَوْلَجانُ الإلهِ أوزيريس وَمِذَبَّتُهُ.

وَعِنْدَما رُفِعَ الكَفَنُ المَصْنوعُ مِنَ الكَتّانِ في النِّهايَةِ، ظَهَرَتِ المومْياءُ مَلْفوفَةً بِمُنْتَهى الدِّقَّةِ، وَعُثِرَ عَلى مِائَةٍ وَأَرْبَعينَ قِطْعَةً مِنَ الحُلِيِّ بَيْنَ اللَّفائِفِ. وَكانَ لِهٰذِهِ الحُلِيِّ وَظيفَةٌ هامَّةٌ، فَلَمْ يَكُنِ اللُّصوصُ هُمُ الخَطَرَ الوَحيدَ الَّذي يُهَدِّدُ الفِرْعَوْنَ، وَلٰكِنَّ المِصْرِيّينَ كانوا يَعْتَقِدونَ أَنَّ عَلى المَوْتى أَنْ يَجْتازوا العالَمَ السُّفْلِيَّ المَليءَ بِالمَخاطِرِ. وَكانوا يَرْجونَ مِنَ الآلِهَةِ والإلهاتِ حِمايَةَ مَوْتاهُمْ؛ وَلِذا وَضَعوا العَديدَ مِنْ صُوَرِ الآلِهَةِ أَوْ رُموزِهِمْ في المَقْبَرَةِ لِضَمانِ حُصولِ المَلِكِ عَلى كُلِّ ما يَحْتاجُ مِنْ مُساعَداتٍ. وَلِلسَّبَبِ نَفْسِهِ أَيْضًا صُنِعَتِ التَّوابيتُ الآدَمِيَّةُ الثَّلاثَةُ وَالقِناعُ عَلى شَكْلِ أوزيريس إلٰهِ العَوْدَةِ إِلى الحَياةِ. وَكانَ لِهٰذا الإلٰهِ رُموزٌ خاصَّةٌ بِهِ وَهِيَ اللِّحْيَةُ المُسْتَعارَةُ وَالمِذَبَّةُ وَالصَّوْلَجانُ. وَلَقَدْ وُضِعَتِ الإلهَةُ نِخْبِتْ، وَرَمْزُها العُقابُ، عَلى التَّوابيتِ وَالمومْياءِ، وَقَدْ بَسَطَتْ جَناحَيْها فَوْقَ الجَسَدِ لِحِمايَتِهِ. أَمّا الإلهَةُ يُورِيُسْ أَوْ وَاجِيتْ، وَرَمْزُها الحَيَّةُ، فَتَظْهَرُ عَلى مُعْظَمِ مُحْتَوَياتِ المَقْبَرَةِ. وَفي العادَةِ نَجِدُ الحَيَّةَ وَالعُقابَ كِلَيْهِما عَلى أَرْدِيَةِ رَأْسِ الفَراعِنَةِ، لِأَنَّ وَاجِيتْ وَنِخْبِتْ كانَتا إِلٰهَتَيْ مِصْرَ السُّفْلى وَمِصْرَ العُلْيا، أَيِ الوَجْهَيْنِ البَحْرِيِّ وَالقِبْلِيِّ.



قُرْصُ القَمرِ وَالهِلالِ، وَتُوت عَنْخ آمُون يُحيطُ بِهِ إلهُ القَمَرِ وإلهُ لشَّمْسِ
أوجات، عَيْنُ حُورَس
الجعْرانُ (رَمْزُ إلهِ الشَّمْسِ)
مَرْكَبُ لقَمَرِ الذَّهَبِيُّ
قُرْصُ لشَّمْسِ
رُموزُ الخُلودِ
يُورَيْس، الحَيَّةُ رَمْزُ واجيتُ
زَهْرَةُ البَشْنِين (اللُّوتَس)
عِقْدُ إلهَيِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ (أو الصَّدْرِيَّة) الَّذي عُثِرَ عَلَيْهِ فَوْقَ مومْياءِ تُوت عَنْخ آمُون، وَرُموزُهُ مَشْروحَةٌ
الصَّقر (رَمْزُ إلهِ الشَّمْسِ)
زَهْرَةُ البَرْدِيِّ فَوْقَ بُرْعُمِ زَهْرَةِ خَشْخاشٍ

وَيُرْمَزُ لِلإلهِ حُورَس، ابْنِ الإلهِ أوزيريس وَالإلهَةِ إيزيس، بِالصَّقْرِ، وَبِالعَيْنِ أحْيانًا، أوْ أوجاتْ الَّتي كانَ المِصْرِيُّونَ يَعْتَقِدونَ أنَّها تَشْفي المَرْضَى وَتُعيدُ الحَياةَ لِلْمَوْتى. وَمِنَ التَّمائِمِ أوِ التَّعاويذِ المُقَدَّسَةِ الشّائِعَةِ أيْضًا الجِعْرانُ (الجُعَلُ). وَنَجِدُ الجِعْرانَ وَالعَيْنَ أوجاتْ مُسْتَخْدَمَتَيْنِ في حُلِيِّ توت عَنْخ آمون بِأشْكالٍ عَديدَةٍ. وَالجِعْرانُ كانَ رَمْزًا لإلهِ الشَّمْسِ. وَكانَتْ هُناكَ أيْضًا رُموزٌ لِلشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالخُلودِ وَزَهْرَتَيْ مِصْرَ المُقَدَّسَتَيْنِ. وَكَثيرٌ مِنَ العُقودِ وَالأساوِرِ وَالخَواتِمِ الَّتي عُثِرَ عَلَيْها في مَقْبَرَةِ تُوت عَنْخ آمون تَحْمِلُ هذِهِ الرُّموزَ.

وَلَقَدْ عُثِرَ عَلى مَجْموعَةٍ مِنَ الأشْياءِ المُتَمَيِّزَةِ بَيْنَ المَقاصيرِ في غُرْفَةِ الدَّفْنِ. وَمِنَ الواضِحِ أنَّ أفْضَلَ القِطَعِ اُخْتيرَ لِيوضَعَ بِجِوارِ جُثَّةِ الفِرْعَوْنِ. فَكانَ ثَمَّةَ إناءٌ مِنَ المَرْمَرِ يُسْتَعْمَلُ كَمِصْباحٍ سِحْرِيٍّ، بِمَعْنى أنَّهُ يَبْدو خالِيًا مِنْ أيِّ رُسومٍ، فَإذا أُضيءَ مِنَ الدّاخِلِ ظَهَرَتْ صورَةٌ بِالألْوانِ لِلْمَلِكِ وَالمَلِكَةِ، وَهذِهِ الصّورَةُ مَرْسومَةٌ بَيْنَ طَبَقَتَيْنِ مِنَ المَرْمَرِ. وَيُعْتَبَرُ وِعاءُ الطّيبِ المُزَيَّنُ بِأسَدٍ رابِضٍ عَلى حافَتِهِ قِطْعَةً فَنِّيَّةً رائِعَةً. وَمِنَ القِطَعِ الَّتي اسْتَهْوَتْ كارْتَر بِشِدَّةٍ صُنْدوقٌ صَغيرٌ لِلْعُطورِ عَلَيْهِ صُوَرُ تُوت عَنْخ آمون، تَلْمَعُ فَوْقَ الذَّهَبِ وَالحِجارَةِ الثَّمينَةِ المُلَوَّنَةِ.



خِنْجَرانِ مُزَيَّنانِ عُثِرَ عَلَيْهِما في المَقْبَرَةِ، الأوَّلُ ذو نَصْلٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَالآخَرُ ذو نَصْلٍ مِنَ الحَديدِ

مِصْباحُ زَيْتٍ مِنَ المَرْمَرِ



وِعاءُ طيبٍ مِنَ المَرْمَرِ عَلَيْهِ رُسومٌ



صُنْدوقُ عِطْرٍ مِنَ الذَّهَبِ.

وَمِمّا يُذْكَرُ أَنَّ جَميعَ جُدْرانِ غُرَفِ الدَّفْنِ في عَصْرِ المِصْرِيِّينَ القُدَماءِ كانَتْ تُزَيَّنُ بِالصُّوَرِ. وَقَدْ أَمَدَّتْنا هذِهِ الصُّوَرُ بِقَدْرٍ هائِلٍ مِنَ المَعْلوماتِ عَنْ مُعْتَقَداتِهِمُ المُتَعَلِّقَةِ بِالحَياةِ بَعْدَ المَوْتِ. وَلا تُعْتَبَرُ الرُّسومُ المَوْجودَةُ في مَقْبَرَةِ تُوت عَنْخ آمُون مِنْ أَجْمَلِ ما عُثِرَ عَلَيْهِ، وَرُبَّما يَرْجِعُ ذلِكَ إلى مَوْتِهِ المُفاجِئِ مِمّا اسْتَدْعى تَزْيينَ المَقْبَرَةِ في عَجَلَةٍ.

وَمِنَ المَناظِرِ الَّتي تُمَثِّلُها رُسومُ المَقْبَرَةِ مَنْظَرُ المُحاكَمَةِ الرَّهيبَةِ لِلْمَيِّتِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ أَمامَ مَحْكَمَةٍ يَرْأَسُها أوزيريس، وَتَتَكَوَّنُ مِن اثْنَيْنِ وَأَرْبَعينَ قاضِيًا، وَيُوَجِّهُ كُلٌّ مِنْهُمْ سُؤالًا لِلْمَيِّتِ: هَلْ سَرَقْتَ شَيْئًا في حَياتِكَ؟ هَلْ كَذَبْتَ؟ هَلْ قَتَلْتَ أَحَدًا؟ وَبَعْدَ ذلِكَ يَجيءُ أَهَمُّ شَطْرٍ مِنَ المُحاكَمَةِ، إِذْ يوزَنُ قَلْبُ المَيِّتِ أَمامَ ريشَةٍ تُمَثِّلُ الحَقَّ. فَإِذا لَمْ يَتَساوَ القَلْبُ مَعَ الرّيشَةِ يُرْمى جِسْمُ المَيِّتِ إلى حَيَوانٍ مُفْتَرِسٍ، أَوْ في حُفْرَةٍ مُظْلِمَةٍ. أَمّا مَنْ يَجْتازونَ هذا الاِخْتِبارَ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقوموا بِرِحْلَةٍ مَليئَةٍ بِالمَخاطِرِ خِلالَ العالَمِ السُّفْلِيِّ، وَمَنْ يَتَغَلَّبْ عَلى هذِهِ المَخاطِرِ كُلِّها يُؤْخَذْ إلى حُقولِ الرّاحَةِ. وَهذِهِ كانَتْ عَقيدَةَ المِصْرِيِّينَ في العَوْدَةِ لِلْحَياةِ مَرَّةً أُخْرى. وَلَقَدْ تَصَوَّرَ المِصْرِيّونَ أَنَّ هذِهِ الجَنَّةَ تُشْبِهُ مِصْرَ وَلكِنْ بِلا مَوْتٍ، وَلا مَرَضٍ وَلا شَرٍّ. وَتَصِفُ النُّقوشُ الَّتي عَلى مَقْصورَةِ تُوت عَنْخ آمُون هذِهِ الرِّحْلَةَ

رَسْمٌ جِدارِيٌّ يُبَيِّنُ (مِنَ الشِّمالِ إلى اليَمينِ) أوزيريس يُرَحِّبُ بِتُوت عَنْخ آمُون وَقَرينِ روحِهِ في أَرْضِ المَوْتى، وَتُوت عَنْخ آمُون واقِفًا أَمامَ رَبَّةِ السَّماءِ نُوت



رَسْمٌ تَخْطيطِيٌّ لِلْمَقْبَرَةِ يُبَيِّنُ غُرْفَةَ حِفْظِ الكُنوزِ.



غُرْفَةُ حِفْظِ الكُنوزِ

وَجَدَ كارْتَر فُتْحَةً سُفْلِيَّةً في الرُّكْنِ الشَّماليِّ الشَّرْقِيِّ لِغُرْفَةِ الدَّفْنِ تُؤَدّي إلى غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ أَسْماها غُرْفَةَ حِفْظِ الكُنوزِ. وَلَقَدِ احْتَوَتْ عَلى أَشْياءَ كانَ المِصْرِيُّونَ القُدَماءُ يَعْتَقِدونَ بِأَهَمِّيَّتِها القُصْوى لِحَياةِ المَلِكِ الثّانِيَةِ.

وَمِنْ بَيْنِ مُحْتَوَياتِ هٰذِهِ الغُرْفَةِ تِمْثالٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ لِحَيَوانِ ابْنِ آوى مَلْفوفٌ بِلِفافَةٍ مِنَ الكَتّانِ، وَلا يَظْهَرُ فيهِ غَيْرُ رَأْسِهِ بِأُذُنَيْهِ المُنْتَصِبَتَيْنِ وَعَيْنَيْهِ اليَقِظَتَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ هٰذا التِّمْثالُ سِوى أَنوبيس، إلٰهِ التَّحْنيطِ، وَهُوَ أَيْضًا المَسْئولُ عَنْ عَمَلِيَّةِ وَزْنِ القَلْبِ

أَنوبيس يَحْفَظُ المَقْصورَةَ الآدَمِيَّةَ الشَّكْلِ



الصُّندوقُ المَرْمَرِيُّ الآدَمِيُّ الشَّكْلِ مَكْشوفُ
الغِطاءِ يُبَيِّنُ رُؤوسَ تُوت عَنْخ آمون الأَرْبَعَةَ.

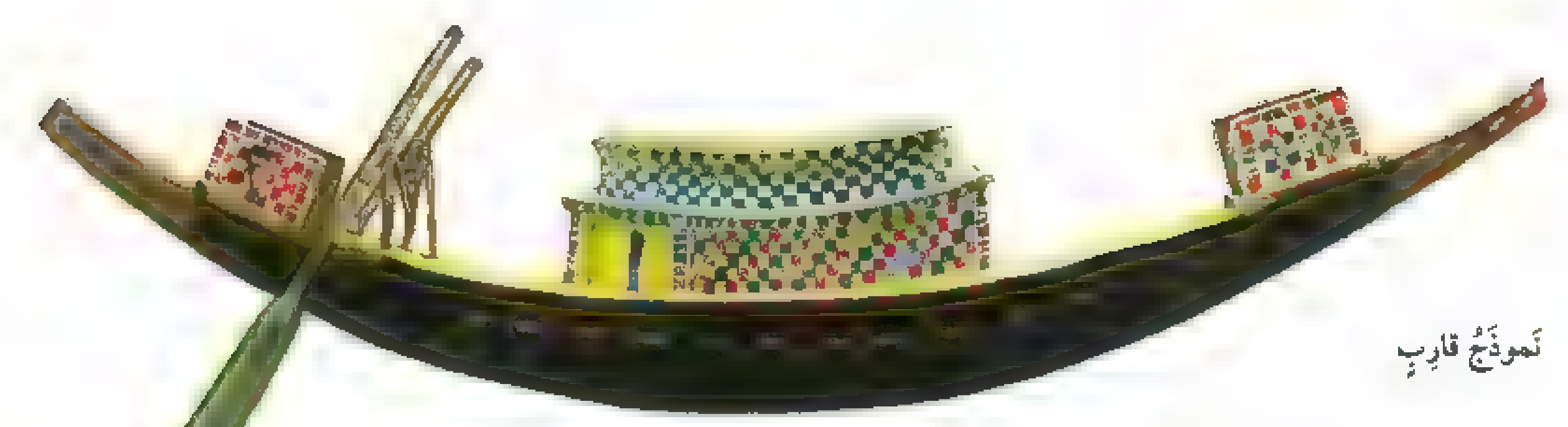
وَكانَ يوجَدُ وَراءَ تِمْثالِ أنوبيس أَهَمُّ مُحْتَوَياتِ الغُرْفَةِ، وَهِيَ مَقْصورَةٌ أُخْرى مُغَطّاةٌ بِالذَّهَبِ. وَكانَتْ تَقِفُ أَمامَ كُلِّ جانِبٍ مِنْها واحِدَةٌ مِنْ أَرْبَعِ إلهاتٍ جَميلاتٍ وَهُنَّ يَمْدُدْنَ أَيادِيَهُنَّ كَما لَوْ كُنَّ يَحْرُسْنَ المَقْصورَةَ. وَلا بُدَّ أَنَّ الشُّعورَ بِالذَّنْبِ قَدِ انْتابَ اللُّصوصَ عِنْدَ تَسَلُّلِهِمْ إلى هذِهِ المَقْبَرَةِ. والحَقُّ أَنَّ الشُّعورَ نَفْسَهُ قَدِ انْتابَ كارْتَرَ عِنْدَما وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهِنَّ، فَقالَ: «إنَّ هَيْئَتَهُنَّ تَتَّسِمُ بِالرَّأْفَةِ وَهُنَّ يَمْدُدْنَ أَذْرُعَهُنَّ بِشَكْلٍ حِمائِيٍّ وَمِنَ الحَرامِ أَنْ تَنْظُرَ إلَيْهِنَّ!»

وَفي هذِهِ المَقْصورَةِ وُجِدَ صُنْدوقٌ بِداخِلِهِ أَرْبَعَةُ رُؤوسٍ لِلْمَلِكِ توت عَنْخ آمون، تُواجِهُ بَعْضُها بَعْضًا عَنْ كَثَبٍ، وَبِارْتِفاعِ الحافَةِ العُلْيا لِلصُّنْدوقِ. وَكُلُّ رَأْسٍ مِنْ هذِهِ الرُّؤوسِ هُوَ في الحَقيقَةِ غِطاءٌ لإِحْدى الخاناتِ الأَرْبَعِ المَنْحوتَةِ في الصُّنْدوقِ، وَالَّتي تَحْتَوي كُلٌّ مِنْها عَلى تابوتٍ صَغيرٍ دَقيقٍ طولُهُ ٢٢,٥سم وَمُزَخْرَفٍ بِشَكْلٍ يُشْبِهُ التّابوتَ الثّانِيَ مِنْ مَجْموعَةِ تَوابيتِ توت عَنْخ آمون. وَكانَتْ هذِهِ التَّوابيتُ الأَرْبَعَةُ تَحْتَوي عَلى كَبِدِ الفِرْعَوْنِ المُتَوَفّى وَرِئَتَيْهِ وَمَعِدَتِهِ وَأَمْعائِهِ.

وَعِنْدَما كانَ يَموتُ أَحَدٌ، كانَتِ المُهِمَّةُ الأُولى هِيَ نَزْعَ هذِهِ الأَعْضاءِ الدّاخِلِيَّةِ وَمُعالَجَتَها عَلى حِدَةٍ حَتّى لا تَتَحَلَّلَ، ثُمَّ تُحْفَظُ في أَوانٍ أَرْبَعَةٍ تُسَمّى أَوانِيَ الأَحْشاءِ. وَكانَ الجَسَدُ يُعالَجُ أَوَّلًا بِمِلْحِ النَّطْرونِ الَّذي يَمْتَصُّ مِنْهُ السَّوائِلَ، وَبَعْدَ ذلِكَ يُشَبَّعُ بِالزُّيوتِ المُخْتَلِفَةِ وَالأَصْماغِ وَالمَراهِمِ، وَيُحْشى بِمَسْحوقِ الخَشَبِ حَتّى يَحْتَفِظَ بِشَكْلِهِ، ثُمَّ يُلَفُّ بِأَشْرِطَةِ الكَتّانِ. وَكانَتْ هذِهِ العَمَلِيَّةُ حَسَبَ مَعْلوماتِنا تَسْتَغْرِقُ سَبْعينَ يَوْمًا، كَما تُحَدِّدُها النُّصوصُ المِصْرِيَّةُ القَديمَةُ. وَكانَتِ الأَعْضاءُ المَحْفوظَةُ في صُنْدوقِ الأَحْشاءِ مُهِمَّةً أَهَمِّيَّةَ المومْياءِ ذاتِها، لِأَنَّ الفِرْعَوْنَ يَحْتاجُ إلى جَسَدِهِ كُلِّهِ في الحَياةِ الأُخْرى. وَفي هذِهِ الغُرْفَةِ عُثِرَ عَلى شَكْلٍ غَريبٍ لِلإِلَهِ أوزيريس؛ فَفي صُنْدوقٍ خَشَبِيٍّ طَويلٍ عُثِرَ عَلى إطارٍ في شَكْلِ أوزيريس مَليءٍ بِالطَّمْيِ، وَبُذورُ القَمْحِ مَزْروعَةٌ فيهِ. وَبَعْدَ غَلْقِ المَقْبَرَةِ وَخَتْمِها تَبْدَأُ البُذورُ في النُّمُوِّ في الظَّلامِ. وَكانَ هذا رَمْزًا لِعَقيدَةِ عَوْدَةِ الحَياةِ الَّتي كانَ المِصْرِيّونَ القُدَماءُ يَتَمَسَّكونَ بِها بِشِدَّةٍ.



صُنْدوقٌ عَلى شَكْلِ أوزيريس مَمْلوءٌ بِالطَّمْيِ المَزْروعِ فيهِ قَمْحٌ (انْظُرِ الرُّسومَ المُحيطَةَ بِهِ مِنَ الخارِجِ).



نموذجُ قاربٍ

وَعُثِرَ في الرُّكْنِ الشَّماليِّ الشَّرْقيِّ لِلْغُرْفَةِ على أكْثَرَ مِنْ أرْبَعِمِائَةِ تِمْثالٍ مِنَ الخَشَبِ، يُسَمَّى الواحِدُ مِنْها شُوابْتي، في صَناديقَ خَشَبِيَّةٍ صَغيرَةٍ. وَكانَ المِصْرِيُّونَ القُدَماءُ يَعْتَقِدونَ بِأَنَّ الفِرْعَوْنَ عَلَيْهِ أداءُ بَعْضِ المَهامِّ في الحَياةِ الأُخْرى. وَفي حالَةِ أنْ يُطْلَبَ مِنْهُ أداءُ أعْمالٍ صَعْبَةٍ، كانَتْ هذِهِ التَّماثيلُ الصَّغيرَةُ تُؤَدِّيها نِيابَةً عَنْهُ. وَتُشيرُ النُّقوشُ المَوْجودَةُ على بَعْضٍ مِنْها إلى أنَّ أصْدِقاءَ المَلِكِ قَدْ قَدَّموا هذِهِ التَّماثيلَ هَدِيَّةً في جِنازَتِهِ.

وَقَدْ عُثِرَ أيْضًا على اثْنَيْنِ وَعِشْرينَ صُنْدوقًا تَحْتَوي على تَماثيلَ أكْبَرَ حَجْمًا مِنَ التَّماثيلِ السَّابِقَةِ. وَكانَ بَعْضُها لِآلِهَةٍ وَإلَهاتٍ، وَبَعْضُها لِلْمَلِكِ تُوت عَنْخ آمُون. وَكانَتْ هذِهِ التَّماثيلُ مَلْفوفَةً بِالكَتّانِ، لا يَظْهَرُ مِنْها إلّا الوَجْهُ فَقَطْ، كَما هُوَ الحالُ في تِمْثالِ الإلَهِ أنوبيس. وَهِيَ تَماثيلُ جَميلَةُ الصُّنْعِ، مِثْلُ تِمْثالِ تُوت عَنْخ آمُون الذَّهَبِيِّ الواقِفِ فَوْقَ ظَهْرِ فَهْدٍ لَوْنُهُ أسْوَدُ. وَقَدْ يَكونُ القَصْدُ مِنْ هذا التِّمْثالِ هُوَ تَمْثيلَ الفِرْعَوْنِ مَصْدَرًا لِلضَّوْءِ، يَجولُ في الظَّلامِ بَيْنَ أخْطارِ العالَمِ السُّفْلِيِّ.

وَفَوْقَ الصَّناديقِ الَّتي تَحْتَوي عَلى تَماثيلِ الشُّوابْتي، وُجِدَتْ نَماذِجُ لِمُخْتَلِفِ أنْواعِ السُّفُنِ الَّتي كانَتْ تُسْتَعْمَلُ عادَةً في مِصْرَ لِلسَّفَرِ وَصَيْدِ السَّمَكِ وَالحَيَواناتِ. كَما وُجِدَتْ أيْضًا نَماذِجُ لِلْمَراكِبِ الجَنائِزِيَّةِ الَّتي كانَتْ تَنْقُلُ جُثَّةَ الفِرْعَوْنِ عَبْرَ النّيلِ إلى مَثْواهُ الأخيرِ. وَثَمَّةَ نَوْعٌ مِنَ السُّفُنِ خاصٌّ بِالسَّفَرِ في العالَمِ السُّفْلِيِّ. فَقَدْ كانَ المِصْرِيُّونَ القُدَماءُ يَعْتَقِدونَ أنَّ إلَهَ الشَّمْسِ يَرْحَلُ كُلَّ لَيْلَةٍ مُخْتَرِقًا ظَلامَ العالَمِ السُّفْلِيِّ، ثُمَّ يَعودُ لِيَعْبُرَ السَّماءَ نَهارًا. وَكانَ الفِرْعَوْنُ في احْتِياجٍ إلى سَفينَةٍ لِيُرافِقَ إلَهَ الشَّمْسِ في رِحْلَتِهِ. وَلَقَدْ أُقيمَتِ المَقابِرُ عَلى الشّاطِئِ الغَرْبِيِّ لِلنّيلِ حَيْثُ كانَتِ الشَّمْسُ تُشاهَدُ وَهِيَ تَغيبُ كُلَّ مَساءٍ، وَبِذلِكَ يَكونُ الفِرْعَوْنُ مُسْتَعِدًّا لِلنُّزولِ إلى العالَمِ السُّفْلِيِّ مَعَ إلَهِ الشَّمْسِ العَظيمِ.



تِمْثالٌ صَغيرٌ (شُوابْتي)

تُوتْ عَنْخ آمُون فَوْقَ ظَهْرِ فَهْدٍ أَسْوَدَ.



الغُرْفَةُ المُلْحَقَةُ بِالمَقْبَرَةِ

تَحْتَوي مَقْبَرَةُ تُوت عَنْخ آمُون عَلى غُرْفَةٍ أُخْرى عُرِفَتْ بِاسْمِ «الغُرْفَة المُلْحَقَة»، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ بِبابٍ كانَ في الأَصْلِ مَخْتومًا، وَلكِنَّ اللُّصوصَ تَرَكوهُ شِبْهَ مَفْتوحٍ. وَرَغْمَ أَنَّ هذِهِ الحُجْرَةَ كانَتْ أَصْغَرَ الحُجُراتِ، إِلّا أَنَّها كانَتْ تَحْوي كَمِّيَّةً هائِلَةً مِنَ الأَشْياءِ بَعْثَرَها اللُّصوص

رَسْمٌ تَخْطيطِيٌّ لِلْمَقْبَرَةِ يُبَيِّنُ الغُرْفَةَ المُلْحَقَةَ



بَعْضُ الأَشْياءِ الَّتي عُثِرَ عَلَيْها في الغُرْفَةِ المُلْحَقَةِ

وَلَعَلَّهُ كانَ المَقْصودُ مِنْ هٰذِهِ الغُرْفَةِ المُلْحَقَةِ، أَنْ تَضُمَّ فَقَط المَأْكولاتِ والمَشْروباتِ الَّتي كانَ يُظَنُّ أَنَّ تُوت عَنْخ آمُون سَيَحْتاجُ إِلَيْها، أَثْناءَ رِحْلَتِهِ الطَّويلَةِ في العالَمِ السُّفْلِيِّ، وَلكنَّها امْتَلَأَتْ بِقِطَعِ الأَثاثِ وَالصَّناديقِ وَالكُنوزِ مِنْ مُخْتَلِفِ الأَنْواعِ. وَكانَ مِنْ بَيْنِ مُحْتَوَياتِها مِائَةٌ وَسِتَّ عَشْرَةَ سَلَّةً لِلْفاكِهَةِ وَالأَطْعِمَةِ الأُخْرى، وَتُشْبِهُ ما نَصْنَعُهُ في وَقْتِنا الحاضِرِ مِنْ سِلالٍ، وكانَتْ تَحْتَوي عَلى بَقايا بَلَحٍ وَبُذورِ شَمّامٍ وَزَبيبٍ. كَما عُثِرَ عَلى سِتَّةٍ وَثَلاثينَ إناءً مِنَ الفَخّارِ كانَتْ في الأَصْلِ مَمْلوءَةً بِالنَّبيذِ. وَعَلى كُلٍّ مِنْها مَصْدَرُ ما بِها مِنْ نَبيذٍ وَتاريخُ صُنْعِهِ. وَكَذلِكَ عُثِرَ عَلى أَرْبَعَةٍ وَثَلاثينَ وِعاءً مِنَ المَرْمَرِ، كانَتْ بِهِ زُيوتٌ وَمَراهِمُ. وَهٰذِهِ المَجْموعَةُ تُمَثِّلُ خَيالًا مُبْدِعًا؛ فَأَحَدُها مَنْحوتٌ عَلى شَكْلِ أَسَدٍ مُنْتَصِبٍ عَلى قائِمَتَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ، والآخَرُ عَلى شَكْلِ تَيْسِ الجَبَلِ.

وَيَعْتَقِدُ كارْتَر أَنَّ الزُّيوتَ كانَتْ قَيِّمَةً لِلْغايَةِ، حَتّى إِنَّ مَجْموعَةً مِنَ اللُّصوصِ غامَرَتْ بِحَياتِها لِتَسْرِقَها!

وِعاءٌ مِنَ المَرْمَرِ لِلْمَراهِمِ عَلى شَكْلِ أَسَدٍ

جَرَّةُ نَبيذٍ

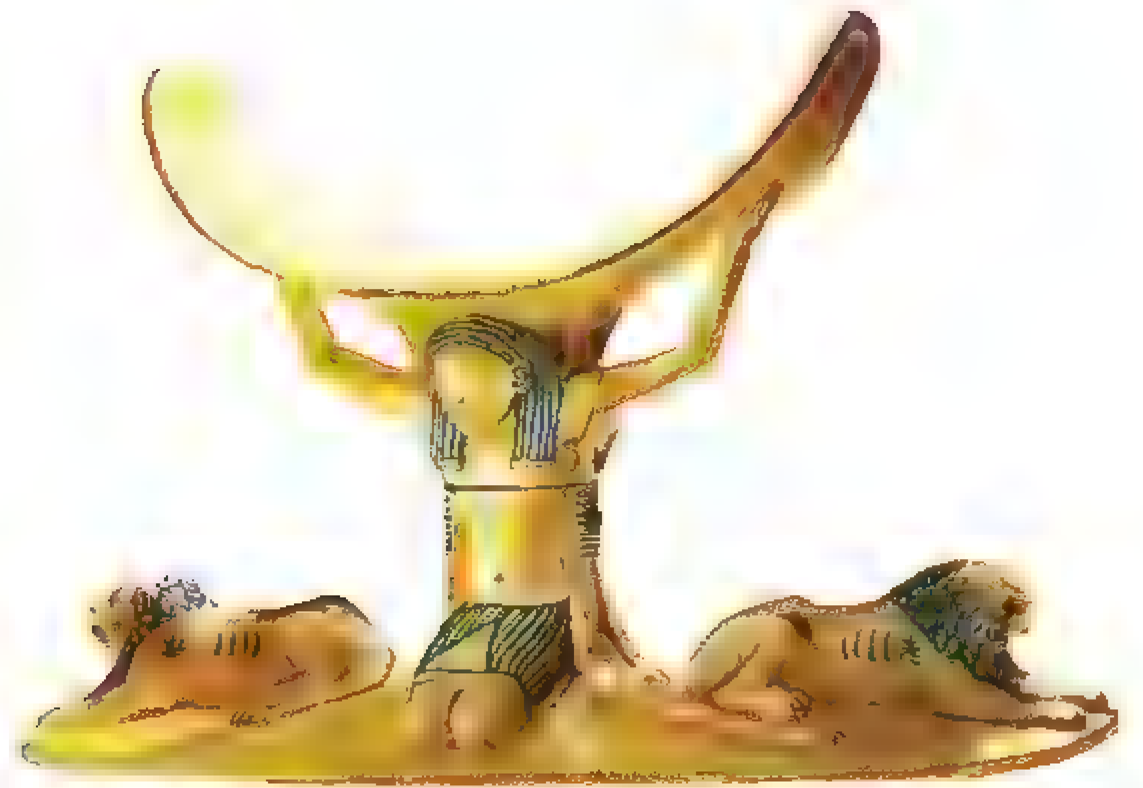
(إِلى اليَسارِ) أَشْياءُ مُبَعْثَرَةٌ في فَوْضى كَما اكْتُشِفَتْ في الغُرْفَةِ المُلْحَقَةِ.

سَلَّةٌ عَلى شَكْلِ زُجاجَةٍ.

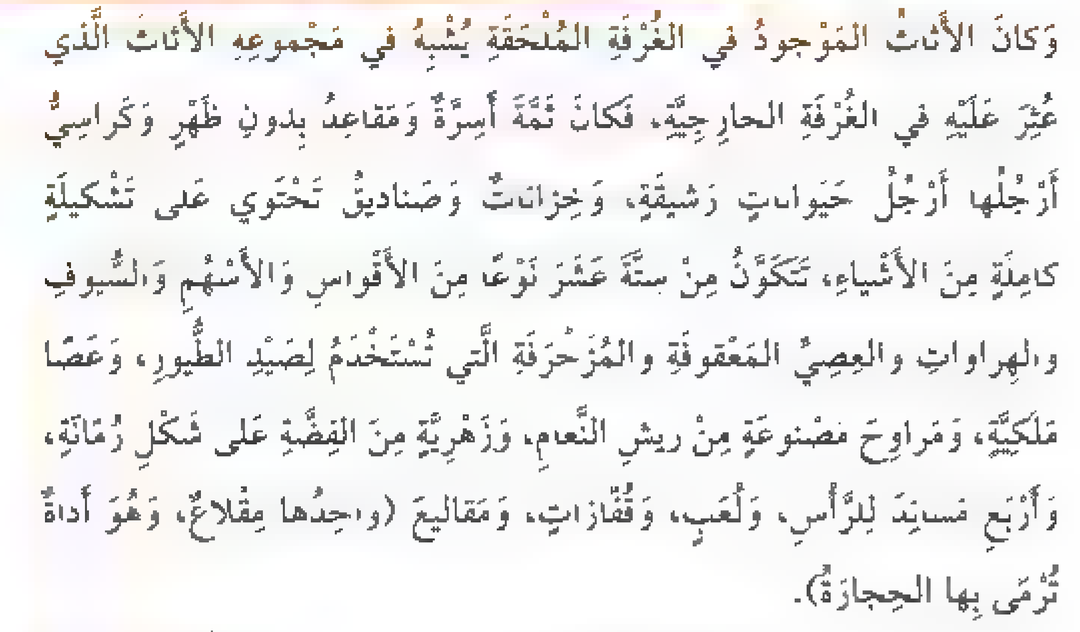


وِعاءٌ مِنَ الفِضَّةِ عَلى شَكْلِ رُمّانَةٍ.

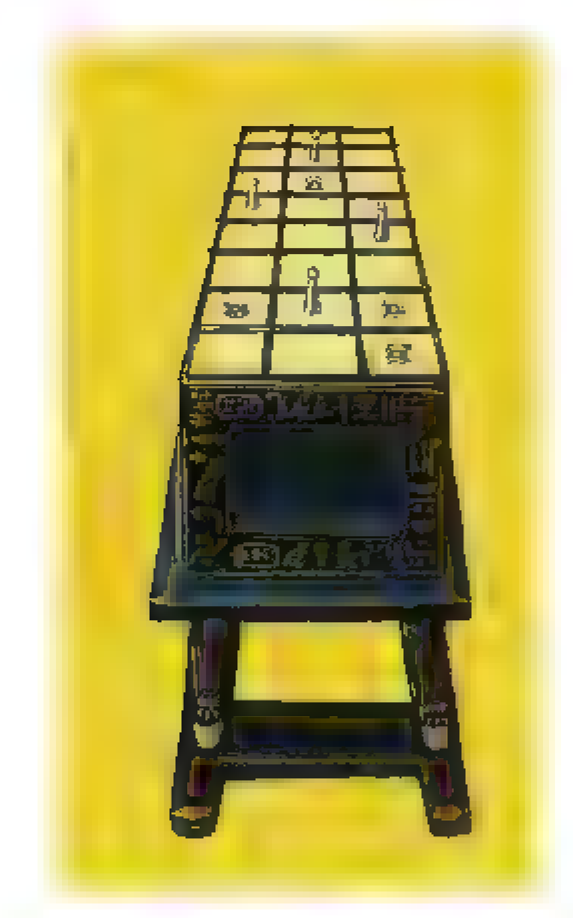
وِعاءٌ مِنَ المَرْمَرِ لِلْمَراهِمِ عَلى شَكْلِ تَيْسِ الجَبَلِ.



مَسْنَدُ رَأْسٍ مِنَ العاجِ



وَكانَ الأَثاثُ المَوْجودُ في الغُرْفَةِ المُلْحَقَةِ يُشْبِهُ في مَجْموعِهِ الأَثاثَ الَّذي عُثِرَ عَلَيْهِ في الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ. فَكانَ ثَمَّةَ أَسِرَّةٌ وَمَقاعِدُ بِدونِ ظَهْرٍ وَكَراسِيُّ أَرْجُلُها أَرْجُلُ حَيَواناتٍ رَشيقَةٍ، وَخِزاناتٌ وَصَناديقُ تَحْتَوي عَلى تَشْكيلَةٍ كامِلَةٍ مِنَ الأَشْياءِ، تَتَكَوَّنُ مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ نَوْعًا مِنَ الأَقْواسِ وَالأَسْهُمِ وَالسُّيوفِ والهِراواتِ والعِصِيِّ المَعْقوفَةِ والمُزَخْرَفَةِ الَّتي تُسْتَخْدَمُ لِصَيْدِ الطُّيورِ، وَعَصًا مَلَكِيَّةٍ، وَمَراوِحَ مَصْنوعَةٍ مِنْ ريشِ النَّعامِ، وَزَهْرِيَّةٍ مِنَ الفِضَّةِ عَلى شَكْلِ رُمّانَةٍ، وَأَرْبَعِ مَسانِدَ لِلرَّأْسِ، وَلُعَبٍ، وَقُفّازاتٍ، وَمَقاليعَ (واحِدُها مِقْلاعٌ، وَهُوَ أَداةٌ تُرْمَى بِها الحِجارَةُ).



أَكْبَرُ اللُّعَبِ الأَرْبَعِ الَّتي تُلْعَبُ عَلى لَوْحاتٍ وَالَّتي عُثِرَ عَلَيْها في المَقْبَرَةِ

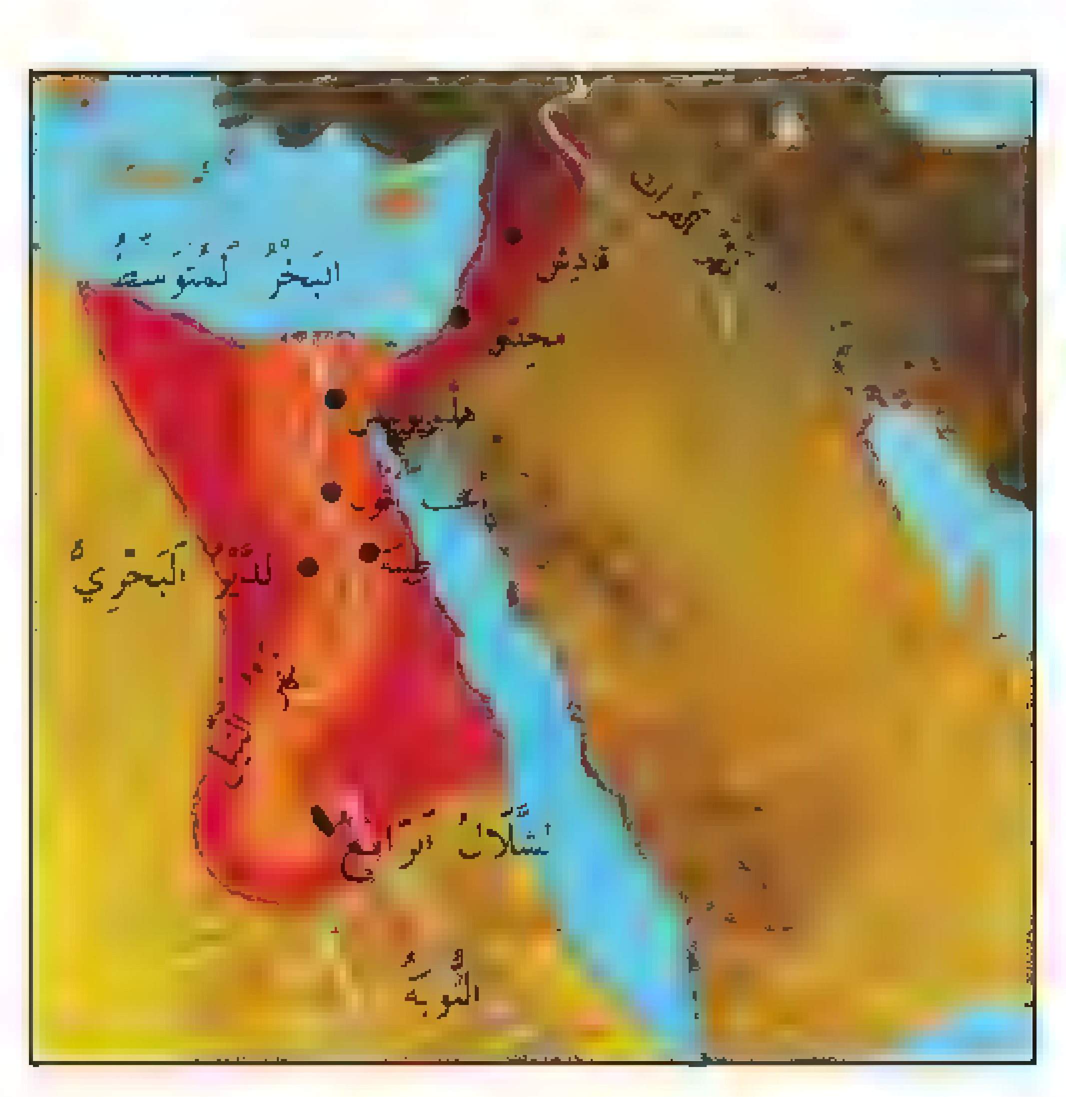
وَعُثِرَ أَيْضًا في الغُرْفَةِ المُلْحَقَةِ عَلى أَرْبَعِ مَجْموعاتٍ مِنَ اللُّعَبِ وَتَتَأَلَّفُ أَكْبَرُها مِنْ صُنْدوقٍ مَوْضوعٍ عَلى قاعِدَةٍ مِنَ الأَبَنوسِ الأَسْوَدِ، وَفَوْقَهُ لُعْبَتانِ مُخْتَلِفَتانِ. أَمّا اللُّعَبُ الثَّلاثُ الأُخْرى الأَصْغَرُ فَقَدْ وُجِدَتْ قِطَعُها المَصْنوعَةُ مِنَ العاجِ مُبَعْثَرَةً في الحُجْرَةِ. وَلَمْ يُعْثَرْ عَلى القَواعِدِ الَّتي تَقومُ عَلَيْها هٰذِهِ اللُّعَبُ، إِلّا أَنَّهُ يُمْكِنُ اسْتِنْباطُها بِشَكْلٍ عامٍّ، فَقَدْ وُجِدَتْ في المَقْبَرَةِ عِصِيٌّ خاصَّةٌ مَنْقوشَةٌ وَلا بُدَّ أَنَّها كانَتْ تُسْتَعْمَلُ كَزَهْرِ النَّرْدِ. وَيَبْدو أَنَّ توت عنخ آمون كانَ مولَعًا بِهٰذِهِ الأَلْعابِ في حَياتِهِ، وَهٰذا هُوَ السَّبَبُ في وَضْعِ أَرْبَعِ مَجْموعاتٍ مِنْها في المَقْبَرَةِ. كَما أَنَّ هُناكَ سَبَبًا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ المِصْرِيّينَ القُدَماءَ اعْتَقَدوا أَنَّ إِحْدى مُخاطَراتِ رِحْلَةِ العالَمِ السُّفْلِيِّ هِيَ تَحَدّي الشَّيْطانِ بِلَعِبِ مُباراةٍ مَعَهُ وَلا يُواصِلُ المَيِّتُ طَريقَهُ إِلى الحَياةِ الأُخْرى إِلّا إِذا هَزَمَ الشَّيْطانَ!

لَمْحَةٌ عَنْ ماضٍ مَجيدٍ

إنَّ مَعابِدَ المِصْرِيِّينَ القُدَماءِ الرّائِعَةَ، وَمَقابِرَهُمُ الفَخْمَةَ، وَدِقَّةَ صَنْعَةِ الأَشْياءِ الَّتي عُثِرَ عَلَيْها في المَقابِرِ وَجَمالَها الفَنِّيَّ، لَشاهِدٌ صامِتٌ عَلى حَضارَةٍ عَظيمَةٍ وُجِدَتْ عَلى ضِفَّتَيِ النّيلِ مُنْذُ آلافِ السِّنينَ.

وَالجُزْءُ الأَكْثَرُ ازْدِهارًا مِنَ التّاريخِ العَريضِ لِمِصْرَ الفِرْعَوْنِيَّةِ، يَنْحَصِرُ في الحِقْبَةِ الَّتي تَبْدَأُ قَبْلَ حُكْمِ تُوت عَنْخ امُون القَصيرِ بِمِائَتَيْ عامٍ، وَالَّتي اسْتَمَرَّتْ مِائَتَيْ عامٍ بَعْدَ وَفاتِهِ.

وَخِلالَ هذِهِ الفَتْرَةِ كانَتْ مِصْرُ إمْبراطورِيَّةً عَظيمَةً، تَمْتَدُّ مِنْ نَهْرِ الفُراتِ في آسيا شَمالًا، إلى الشَّلّالِ الرّابِعِ في النّيلِ جَنوبًا. وَكانَ لِكُلِّ دَوْلَةٍ مِنْ دُوَلِ هذِهِ الإمْبراطورِيَّةِ الواسِعَةِ مَلِكُها، الَّذي كانَ يَعْمَلُ تَبَعًا لِأَوامِرِ فِرْعَوْنِ مِصْرَ. وَكانَ عَلَيْها إرْسالُ الجِزْيَةِ لِمِصْرَ سَنَوِيًّا مُتَمَثِّلَةً في كَمِّيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ البَضائِعِ الثَّمينَةِ.

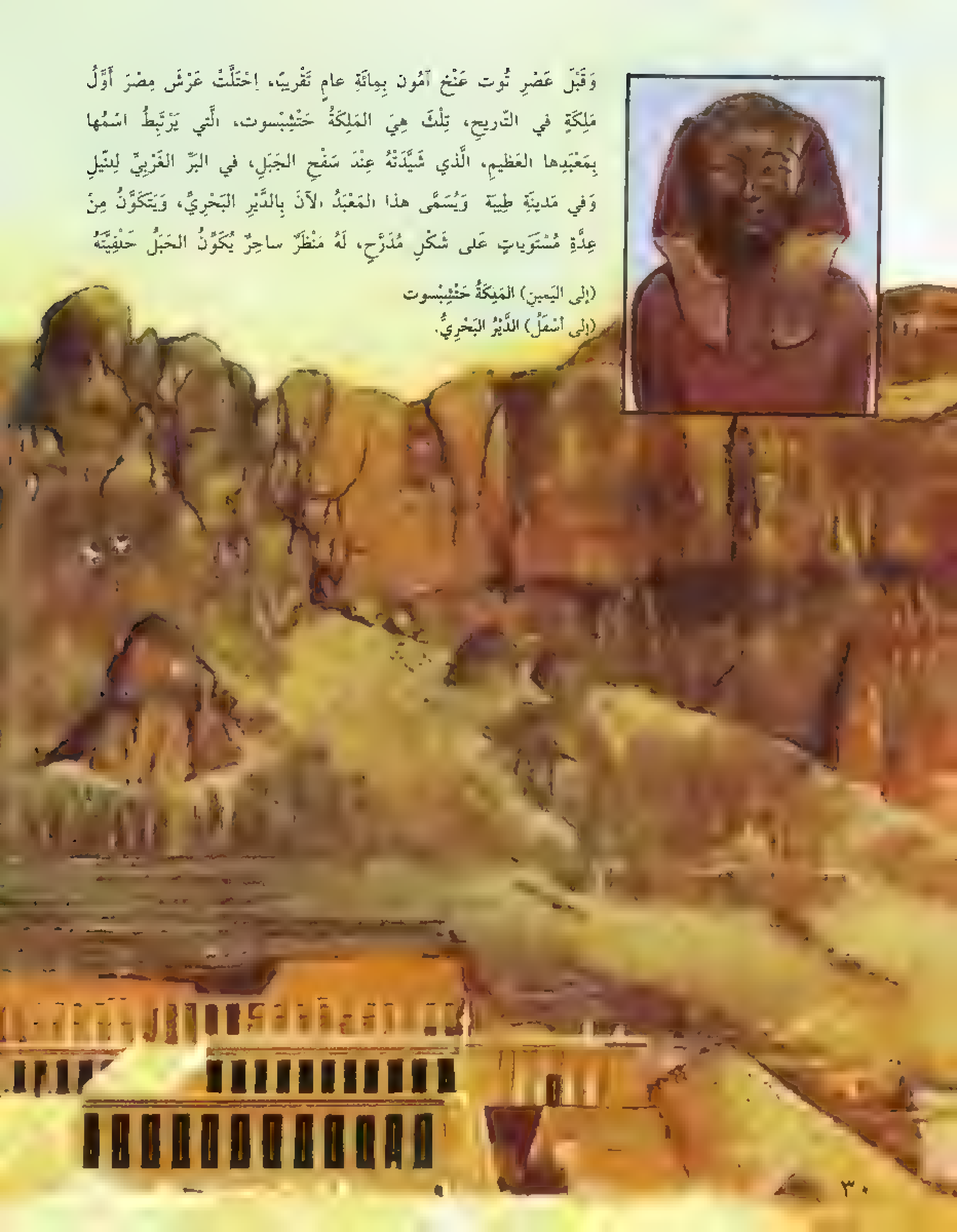


خَريطَةُ الإمْبراطورِيَّةِ المِصْرِيَّةِ.



مِصْرُ

أَراضي الإمْبراطورِيَّةِ



وَقَبْلَ عَصْرِ تُوت عَنْخ آمُون بِمِائَةِ عامٍ تَقْرِيبًا، إِحْتَلَّتْ عَرْشَ مِصْرَ أَوَّلُ مَلِكَةٍ في التّاريخِ، تِلْكَ هِيَ المَلِكَةُ حَتْشِبْسوت، الَّتي يَرْتَبِطُ اسْمُها بِمَعْبَدِها العَظيمِ، الَّذي شَيَّدَتْهُ عِنْدَ سَفْحِ الجَبَلِ، في البَرِّ الغَرْبِيِّ لِلنّيلِ وَفي مَدينَةِ طيبَة وَيُسَمّى هذا المَعْبَدُ الآنَ بِالدَّيْرِ البَحْرِيِّ، وَيَتَكَوَّنُ مِنْ عِدَّةِ مُسْتَوَياتٍ عَلى شَكْلٍ مُدَرَّجٍ، لَهُ مَنْظَرٌ ساحِرٌ يُكَوِّنُ الجَبَلُ خَلْفِيَّتَهُ

(إلى اليَمينِ) المَلِكَةُ حَتْشِبْسوت
(إلى أسْفَلَ) الدَّيْرُ البَحْرِيُّ.



وَعَلى جُدْرانِ المَعْبَدِ سَجَّلَتِ المَلِكَةُ حَتْشِبْسوت أَنْباءَ البَعْثَةِ الَّتي أَرْسَلَتْها إلى بِلادِ بُونْت، الَّتي يُرَجَّحُ أَنَّها كانَتِ الصّومالَ في شَرْقِ إِفْرِيقِيا. وَلَقَدْ أَرْسَلَتِ المَلِكَةُ أُسْطولَها إلى بِلادِ بُونْت اسْتِجابَةً لِأَوامِرِ الإلهِ آمُون؛ لِتَجْلُبَ أَشْجارَ المُرِّ لِلْمَعْبَدِ. وَقَدْ نَجَحَتِ الرِّحْلَةُ وَعادَ الرِّجالُ، لَيْسَ فَقَطْ بِأَشْجارِ المُرِّ، وَلٰكِنْ أَيْضًا بِالذَّهَبِ وَالعاجِ وَالأَبَنوسِ وَالبَخورِ وَالعُطورِ وَالقُرودِ والسَّناسيسِ.

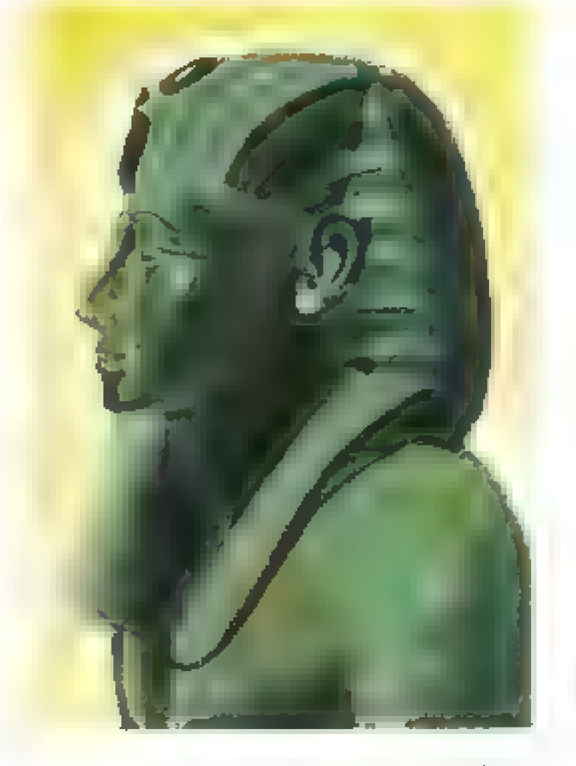
(إلى اليَسارِ) مِسَلَّةُ حَتْشِبْسوت



القُوَّةُ وَراءَ الإمبراطوريَّةِ: الجَيْشُ المِصْريُّ يُحارِبُ بِقِيادَةِ الفِرْعَوْنِ

لَقَدْ كَرَّسَتِ المَلِكَةُ حَتْشِبْسوتَ حَياتَها كُلَّها لِأَعْمالِ السَّلامِ، إلّا أَنَّهُ في نِهايَةِ حُكْمِها شَبَّتْ ثَوْراتٌ في آسْيا؛ وَمِنْ حُسْنِ حَظِّ مِصْرَ، بَعْدَ انْتِهاءِ حُكْمِ المَلِكَةِ حَتْشِبْسوت، أَنْ تَوَلَّى المَلِكُ تُحُتْمُس الثّالِثُ عَرْشَ مِصْرَ، وَكانَ قائِدًا عَظيمًا. وَقَدْ سارَ هذا المَلِكُ عَلى رَأْسِ جَيْشٍ إلى قَلْعَةِ مَجِدّو الحَصينَةِ في آسْيا، لِإِخْضاعِ المُتَمَرِّدينَ. وَثَمَّةَ قِصَّةٌ عَنْ هذِهِ الحَمْلَةِ تُبَيِّنُ شَجاعَةَ هذا المَلِكِ؛ فَقَدْ كانَ هُناكَ ثَلاثَةُ طُرُقٍ تُؤَدّي إلى القَلْعَةِ، وَاخْتارَ المَلِكُ أَقْصَرَها رَغْمَ أَنَّهُ كانَ طَريقًا ضَيِّقًا لِدَرَجَةِ أَنَّ الجُنودَ لَمْ يَسْتَطيعوا السَّيْرَ فيهِ إلّا صَفًّا واحِدًا. وَتَوَسَّلوا إلى المَلِكِ أَنْ يَجْتازَ طَريقًا أَسْهَلَ فَرَفَضَ، وَأَقْسَمَ أَنْ يَقودَ الجَيْشَ بِنَفْسِهِ ضِدَّ أَعْدائِهِ.

وَعِنْدَما وَصَلَ مَجِدّو قادَ الحَمْلَةَ بِعَجَلَتِهِ الحَرْبِيَّةِ المُتَأَلِّقَةِ. وَعِنْدَ أَوَّلِ هُجومٍ وَلّى العَدُوُّ الأَدْبارَ، وَانْسَحَبَ داخِلَ المَدينَةِ، فَأَمَرَ تُحُتْمُس بِمُحاصَرَتِها، وَسُرْعانَ ما اسْتَسْلَمَ العَدُوُّ. وَكانَتِ الغَنائِمُ الَّتي اسْتَوْلى عَلَيْها المِصْرِيّونَ المُنْتَصِرونَ هائِلَةً؛ فَكانَ مِنْ بَيْنِها ٩٢٤ عَجَلَةً حَرْبِيَّةً، وَآلافٌ مِنَ الخَيْلِ وَالماشِيَةِ، وَكَمِّيَّةٌ ضَخْمَةٌ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ.



تِمْثالُ تُحْتْمُس الثّالِثِ

وَلٰكِنْ مَلِكَ قادِش وَالحِثِّيِّينَ – وَهُوَ أَلَدُّ أَعْداءِ الفِرْعَوْنِ – اسْتَطاعَ أَنْ يَهْرُبَ مِنَ المَدينَةِ الَّتي اسْتَوْلى عَلَيْها المِصْرِيّون. وَقَرَّرَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ أَنْ يعودَ إلى دِيارِهِ، لِأَنَّ الوَقْتَ لَمْ يَكُنْ مُناسِبًا لِتَعَقُّبِ عَدُوِّهِ، وَعَيَّنَ على الأَراضي المَهْزومَةِ حُكّامًا مِنْ بَيْنِ المُوالينَ لَهُ، وَأَخَذَ أَوْلادَهُمْ رَهائِنَ حَتّى يَضْمَنَ وَلاءَهُمْ، وَعَمِلَ عَلى تَعْليمِهِمْ في مَدْرَسَةٍ خاصَّةٍ في طيبَة، فَنَشَأوا عَلى حُبِّ مِصْرَ. وَعِنْدَما حانَ الوَقْتُ لِيَخْلُفوا آباءَهُمْ، ثَبَتَ وَلاؤُهُمْ لِلْفِرْعَوْنِ وَقادَ تُحْتْمُس خَمْسَ حَمَلاتٍ أُخرى ضِدَّ هٰذِهِ الشُّعوبِ، قَبْلَ أَنْ يَتَّجِهَ في النِّهايَةِ بِجَيْشِهِ إلى مَدينَةِ قادِش. وَكانَتْ هٰذِهِ المَدينَةُ مُحَصَّنَةً، نَظَرًا لِكَوْنِها مُحاطَةً بِالمِياهِ مِنْ جَميعِ الجِهاتِ، وَمَعَ ذٰلِكَ اضْطُرَّتْ لِلاِسْتِسْلامِ. وَما إِنِ اسْتَوْلى تُحْتْمُس عَلى قادِش حَتّى اسْتَطاعَ أَنْ يَغْزُوَ مَناطِقَ أُخْرى وَراءَها وَجَميعُ هٰذِهِ الحِكاياتِ الَّتي تَحْكي عَنْ حَمَلاتِ تُحْتْمُس الثّالِثِ وَانْتِصاراتِهِ، مُسَجَّلَةٌ بِالهيروغْليفِيَّةِ عَلى جُدْرانِ مَعْبَدِهِ الضَّخْمِ في طيبَة.



تِمْثالانِ حَجَرِيّانِ ضَخْمانِ لِأَمِنْحوتِب الثّالِثِ وَزَوْجَتِهِ

ماتَ تُحْتُمُس بَعْدَ حُكْمٍ دامَ أَرْبَعَةً وَخَمْسينَ عامًا حافِلَةً بِالأَعْمالِ المَجيدَةِ. وَما كادَ خَبَرُ مَوْتِهِ يَصِلُ إِلى أَسْماعِ البُلْدانِ الخاضِعَةِ لَهُ في آسْيا، حَتّى حاوَلَ حُكّامُها أَنْ يَتَحَرَّروا مِنَ السَّيْطَرَةِ المِصْرِيَّةِ، وامْتَنَعوا عَنْ إِرْسالِ الجِزْيَةِ إِلى مِصْرَ. وَلكِنَّ أَمِنْحوتِب الثّاني، الَّذي خَلَفَ أَباهُ في حُكْمِ مِصْرَ، لَمْ يُمَكِّنْهُمْ مِنِ انْتِهازِ هذِهِ الفُرْصَةِ. وَسارَ بِجَيْشِهِ إِلى آسْيا وَقادَ الجَيْشَ بِنَفْسِهِ كَما فَعَلَ أَبوهُ وَسَحَقَ المُتَمَرِّدينَ. كَما أَنَّهُ أَرْسَلَ جَيْشَهُ أَيْضًا جِهَةَ الجَنوبِ حَتّى حُدودِ مِصْرَ عِنْدَ الشَّلّالِ الرّابِعِ.

تَوَلّى بَعْدَ ذلِكَ تُحْتُمُس الرّابِعُ حُكْمَ مِصْرَ، وَشَنَّ الحَرْبَ شَمالًا وَجَنوبًا، وَنَجَحَ في إِخْضاعِ المُتَمَرِّدينَ، وَلكِنَّ حُكْمَهُ لَمْ يَدُمْ طَويلًا، وَخَلَفَهُ أَمِنْحوتِب الثّالِثُ. وَعادَتِ الإِضْطِراباتُ مَرَّةً أُخْرى في الجَنوبِ، وَاضْطُرَّ أَمِنْحوتِب الثّالِثُ إِلى أَنْ يَسيرَ بِجَيْشِهِ إِلى بِلادِ النّوبَةِ، وَيَقْضِيَ عَلى الثَّوْرَةِ هُناكَ. وَلَمْ يَتَسَبَّبْ حُكّامُ آسْيا في إِثارَةِ القَلاقِلِ، بَلْ عَمِلوا العَكْسَ تَمامًا وَأَظْهَروا خُضوعًا تامًّا لِلْفِرْعَوْنِ. وَلَقَدْ عُثِرَ عَلى الرَّسائِلِ الَّتي تُبَيِّنُ هذِهِ الطّاعَةَ. وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدُ هؤُلاءِ الحُكّامِ عَلى الإِمْتِناعِ عَنْ دَفْعِ الجِزْيَةِ أَوْ حَتّى تَأْجيلِها الَّذي يَسْتَوْجِبُ العِقابَ؛ فَزادَ بِذلِكَ ثَراءُ المَلِكِ.

(إِلى اليَسارِ) الجِزْيَةُ تُقَدَّمُ لِلْفِرْعَوْنِ مِنْ أَراضي بِلادِ الإِمْبراطورِيَّةِ البَعيدَةِ.



وَلَقَدِ ازْدَهَرَتِ التِّجارَةُ أَيْضًا، وَكانَتِ السُّفُنُ المُحَمَّلَةُ بِبَضائِعِ البُلْدانِ الأَجْنَبِيَّةِ تَجوبُ النِّيلَ شَمالًا وَجَنوبًا. وكانَتِ المُنْتَجاتُ المِصْرِيَّةُ تُرْسَلُ إلى البُلْدانِ المُجاوِرَةِ الَّتي تَأَثَّرَتْ بِالحَضارَةِ المِصْرِيَّةِ. وَأَصْبَحَ شَعْبُ طيبَةَ لا يَرْضى بِالحَياةِ البَسيطَةِ الَّتي كانَ يَعيشُها أَجْدادُهُ، وَإِنَّما صارَ النّاسُ هُناكَ يَعيشُونَ في بُيُوتٍ فاخِرَةٍ تُحيطُ بِها الحَدائِقُ الغَنّاءُ، وَأَصْبَحوا يَرْتَدونَ ثِيابًا عالِيَةً فاخِرَةً بالمُقارَنَةِ بِالمَلابِسِ البَسيطَةِ الَّتي اعْتادوها في الماضي

وَكانَ ثَمَّةَ تَطَوُّرٌ هائِلٌ في فَنِّ العِمارَةِ، فَأَصْبَحَتِ العَمائِرُ أَكْثَرَ جَمالًا عَنْ سابِقَتِها، وَبُنِيَتْ في طيبَةَ ثَلاثَةُ معابِدَ ضَخْمَةٌ، أُقيمَ أَمامَ أَحَدِها تِمْثالانِ كَبيرانِ لِأَمِنْحُوتِب وَلَمْ يُعْثَرْ عَلى أَيَّةِ آثارٍ لِهذا المَعْبَدِ، وَلكِنَّ التِّمْثالَيْنِ مَوْجودانِ وَيُعْرَفانِ بِتِمْثالَيْ مِمْنون، وَيَبْلُغُ ارْتِفاعُ كُلٍّ مِنْهُما أَكْثَرَ مِنْ ١٥ مِتْرًا

وَلَمّا ماتَ أَمِنْحُوتِب الثّالِثُ بَعْدَ حُكْمٍ دامَ قُرابَةَ سِتَّةٍ وَثَلاثينَ عامًا، دُفِنَ إِلى جِوارِ أَجْدادِهِ في وادي المُلوكِ. وَلَقَدْ تَمَتَّعَتْ مِصْرُ في عَهْدِهِ بِالسَّلامِ وَالرَّخاءِ، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزْ بِأَعْمالٍ عَسْكَرِيَّةٍ كَما فَعَلَ جَدُّهُ تُحُتْمُس الثّالِثُ.

تِمْثالا مِمْنون: تِمْثالانِ حَجَرِيّانِ ضَخْمانِ لِأَمِنْحوتِب الثّالِثِ بِالقُرْبِ مِنْ طيبَةَ



ثَوْرَةُ أَخْناتون الدِّينِيَّةُ

تَوَلَّى أَمِنْحُوتِب الرّابِعُ عَرْشَ مِصْرَ خَلَفًا لِأَبِيهِ أَمِنْحُوتِب الثّالِثِ، وَأَثْبَتَ أَنَّهُ مَلِكٌ مِنْ طِرازٍ خاصٍّ. وَتُظْهِرُهُ الرُّسومُ قَصيرَ الرِّجْلَيْنِ، ذا بَطْنٍ مُنْتَفِخٍ، وَرَأْسٍ غَريبٍ مُفَلْطَحٍ. أَمّا زَوْجَتُهُ نِفِرْتيتي فَتَظْهَرُ جَميلَةً بِشَكْلٍ غَيْرِ عادِيٍّ في تِمْثالَيْها النِّصْفِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ عُثِرَ عَلَيْهِما.

وَلَمْ يَهْتَمَّ هذا المَلِكُ بِشُئونِ حُكْمِ البِلادِ، ولَمْ يَخُضْ أَيَّةَ حَرْبٍ، بَلْ كَرَّسَ نَفْسَهُ لِلشُّئونِ الدِّينِيَّةِ، فَأَدْخَلَ عَلى العِبادَةِ شَكْلًا جَديدًا بَسيطًا، يَعْتَمِدُ عَلى عِبادَةِ الإِلَهِ أَتون؛ وَهُوَ الشَّمْسُ ذاتُها. وَكانَتِ الشَّمْسُ تُعْبَدُ قَبْلَ عَهْدِهِ في شَكْلِ آلِهَةٍ عَديدَةٍ أَهَمُّها آمون، فَحَوَّلَها أَمِنْحُوتِب الرّابِعُ إِلى أَتون لِيَجْعَلَها سَهْلَةَ الفَهْمِ عَلى النّاسِ. ولَعَلَّهُ أَرادَ أَيْضًا أَنْ يَنْتَزِعَ مِنْ كَهَنَةِ آمونَ بِطيبَةَ سُلْطانَهُمُ العَظيمَ. وَلَقَدْ زادَتِ الدِّيانَةُ الجَديدَةُ مِنْ قُوَّتِهِ؛ فَقَدِ ادَّعى أَنَّهُ الشَّخْصُ الوَحيدُ الَّذي يُمْكِنُهُ الاِتِّصالُ بِأَتون



تِمْثالٌ حَجَرِيٌّ لِأَمِنْحوتِب الثّالِثِ

تِمْثالٌ نِصْفِيٌّ حَجَرِيٌّ مُلَوَّنٌ لِلمَلِكَةِ نِفِرْتيتي

أَصْدَرَ المَلِكُ أَوامِرَهُ لِلشَّعْبِ أَنْ يُقْلِعَ عَنْ عِبادَةِ آمُون، وَأَنْ يَعْبُدَ الإِلهَ الجَديدَ أتُون، وَقامَ بِغَلْقِ مَعابِدِ آمُون وَطَرْدِ كَهَنَتِهِ. وَبِسَبَبِ كَراهِيَتِهِ لِآمُون غَيَّرَ اسْمَهُ، الَّذي كانَ في الأَصْلِ أَمِنْحُوتِب؛ أَيْ «آمُون يَسْتَريحُ»، إِلى أَخْناتُون؛ أَيْ «رُوح أَتُون». وَكانَتِ العاصِمَةُ القَديمَةُ طيبة، بِما فيها مِنْ مَعابِدَ ضَخْمَةٍ، تُذَكِّرُهُ دائِمًا بِآمُون، فَهَجَرَها وَبَنى عاصِمَةً جَديدَةً تَبْعُدُ عَنْها مَسافَةَ ٣٢٠ كيلو مِتْرًا شَمالًا، وَسَمّاها أَخِتْ أَتُون؛ أَيْ «أُفُق أَتُون»، وَكَرَّسَ جَميعَ مَبانيها وَجَميعَ مَعابِدِها لِلإِلهِ الجَديدِ. وَيُسَمّى هذا المَكانُ حالِيًّا «العَمارِنَة»



نَقْشٌ حَجَرِيٌّ بارِزٌ يُبَيِّنُ أَخْناتُون وَنِفِرْتيتي يَعْبُدانِ قُرْصَ الشَّمْسِ.

وَبَيْنَما كانَ المَلِكُ مَشْغولًا بِدِيانَتِهِ الجَديدَةِ، نَشَأَتِ الاِضْطِراباتُ في آسْيا؛ فَأَرْسَلَ لَهُ مِنْ هُناكَ بَعْضُ الحُكّامِ القَلائِلِ، الَّذين كانوا لا يَزالونَ مُوالينَ لِمِصْرَ، الرَّسائِلَ يَسْتَنْجِدونَ بِهِ. وَكانَ أَحْيانًا يَتَجاهَلُ هذِهِ الاِسْتِغاثاتِ، وَأَحْيانًا أُخْرى يُرْسِلُ عَدَدًا ضَئيلًا مِنَ الجُنْدِ لا يَكْفي لِعَمَلِ شَيْءٍ. وَقَدْ عَرَفْنا هذِهِ المَعْلوماتِ عِنْدَما اكْتُشِفَ في العَمارِنَةِ عامَ ١٨٥٥ ما يَقْرُبُ مِنْ ثَلاثِمائَةِ رِسالَةٍ مِنْ هذِهِ الرَّسائِلِ مَكْتوبَةً عَلى لَوْحاتٍ مِنَ الطّينِ.

وَهكَذا شاهَدَ أَخْناتُون الاِنْهِيارَ التَّدْريجِيَّ لِلإِمْبِراطورِيَّةِ، وَقَدْ حَنَقَ عَلَيْهِ كَهَنَةُ آمُون وَضُبّاطُ الجَيْشِ لِتَسَبُّبِهِ في ضَعْفِ مِصْرَ.

وَلَقَدْ عَيَّنَ أَخْناتُون سِمِنْخكارَع وَريثًا لَهُ عَلى العَرْشِ مِنْ بَعْدِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ سِمِنْخكارَع هذا كانَ أَخًا لِتُوت عَنْخ آمُون. وَلَمّا ماتَ أَخْناتُون، بَعْدَ حُكْمٍ دامَ سَبْعَةَ عَشَرَ عامًا، دُفِنَ في مَقْبَرَةٍ نُحِتَتْ لَهُ بِالقُرْبِ مِنْ عاصِمَتِهِ الجَديدَةِ. وَيُعْتَقَدُ أَنَّهُ في تِلْكَ الفَتْرَةِ ماتَ سِمِنْخكارَع أَيْضًا.



مَعْبَدٌ في العَمارِنَةِ في عَهْدِ أَخْناتُون

حُكْمُ تُوت عَنْخ آمُون

عَلى النَّقيضِ مِنْ تُحُتْمُس الثّالِثِ وأَمِنْحُوتِب الثّالِثِ، لَمْ يَظْهَرِ اسْمُ تُوت عَنْخ آمُون في النُّقوشِ. وَعِنْدَما اكْتُشِفَتْ مَقْبَرَتُهُ تَوَقَّعَ المُؤَرِّخونَ أَنْ تَنْجَلِيَ أَسْرارُ فَتْرَةِ حُكْمِهِ. وَفِعْلًا أَمْكَنَ الحُصولُ عَلى بَعْضِ المَعْلوماتِ عَنْ هذا المَلِكِ وَلكِنَّها لا تَزالُ قَليلَةً.

أَصْبَحَ تُوت عَنْخ آمُون فِرْعَوْنًا لِمِصْرَ عامَ ١٣٣٣ ق.م.، وَحَكَمَ البِلادَ عَشْرَ سَنَواتٍ، وَكانَ ابْنَ أَخْناتُون مِنْ إِحْدى زَوْجاتِهِ قَليلَةِ الشَّأْنِ، وَلَمْ يَكُنِ ابْنَ نِفِرْتِيتي. وَعِنْدَما فُحِصَتْ مومْياءُ تُوت عَنْخ آمُون بِمَعْرِفَةِ الخُبَراءِ، وُجِدَ أَنَّها لِشابٍّ في حَوالَي الثّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ. وَمَعْنى ذلِكَ أَنَّ تُوت عَنْخ آمُون نُصِّبَ فِرْعَوْنًا في التّاسِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ. وَلَعَلَّهُ تَزَوَّجَ عَنْخ إِس إِن با أَتُون وَهُوَ لا يَزالُ طِفْلًا.

وَمِمّا يَجْعَلُ حُكْمَ تُوت عَنْخ آمُون مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكانٍ، أَنَّهُ حَدَثَتْ في عَهْدِهِ رِدَّةٌ إِلى الدّينِ القَديمِ. وَلَقَدْ عُثِرَ عَلى لَوْحَةٍ حَجَرِيَّةٍ ذاتِ نُقوشٍ في مَعْبَدِ الكَرْنَكِ، مَحْفوظَةٍ الآنَ في المُتْحَفِ المِصْرِيِّ، تُوَضِّحُ ما حَدَثَ عَلى لِسانِ تُوت عَنْخ آمُون: «لَقَدْ وَجَدْتُ المَعابِدَ أَطْلالًا، وَالأَماكِنَ المُقَدَّسَةَ في حالَةٍ مُحْزِنَةٍ، وَأَفْنِيَتَها مُغَطّاةً بِالحَشائِشِ، فَأَعَدْتُ بِناءَ هَياكِلِها، وَأَغْدَقْتُ عَلَيْها الهَدايا الثَّمينَةَ.» وَفي أَثْناءِ حُكْمِهِ هَجَرَ العاصِمَةَ أَخِتْ أَتُون الَّتي شَيَّدَها أَبوهُ، والَّتي كانَتْ مَعْقِلًا لِعِبادَةِ أَتُون، وَعادَ إِلى طيبَةَ. كَما أَنَّهُ غَيَّرَ اسْمَهُ مِنْ تُوت عَنْخ أَتُون إِلى تُوت عَنْخ آمُون، وَكَذلِكَ غَيَّرَ اسْمَ زَوْجَتِهِ مِنْ عَنْخ إِس إِن با أَتُون إِلى عَنْخ إِس إِن آمُون.

وَتُشيرُ مُحْتَوَياتُ المَقْبَرَةِ إِلى أَنَّ هذا التَّغْييرَ حَدَثَ تَدْريجِيًّا، وَأَنَّ تُوت عَنْخ آمُون – عَلى النَّقيضِ مِنْ أَخْناتُون – كانَ عَلى اسْتِعْدادٍ لِلسَّماحِ لِلدِّيانَتَيْنِ بِالتَّواجُدِ مَعًا. فَعَلى سَبيلِ المِثالِ يوجَدُ نَقْشٌ عَلى كُرْسِيِّ العَرْشِ الذَّهَبِيِّ، الَّذي عُثِرَ عَلَيْهِ في الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ (انْظُرْ صَفْحَتَيْ ٦ و ٧) يُمَثِّلُ المَلِكَ والمَلِكَةَ أَمامَ صورَةِ الإِلهِ أَتُون، عَلى حينِ أَنَّ النَّصَّ المَكْتوبَ عَلى الكُرْسِيِّ نَفْسِهِ يُظْهِرُ اسْمَ المَلِكِ تُوت عَنْخ آمُون، أَيْ بَعْدَ أَنْ حَدَثَتِ الرِّدَّةُ إِلى الدِّيانَةِ القَديمَةِ.



تُوت عَنْخ آمُون طِفْلًا.

صُنْدوقٌ عُثِرَ عَلَيْهِ وَسْطَ الكُنوزِ.

غطاءُ صُنْدوقٍ مُزَيَّنٌ بِاسْمِ وَلَقَبِ تُوت عَنْخ آمُون بِالهيروغليفيَّة (أنْظُرِ التَّفسيرَ إلى اليمينِ) وَمَعْنى الإسْم «صورةُ آمُونَ الحَيَّةُ» أَوْ «حَياةُ آمُونَ الكامِلَةُ»
وَكانَ المِصْريُّونَ يَكْتُبونَ مِنَ اليَمينِ إلى الشِّمالِ أَوْ في أَعْمِدَةٍ. وَكانَتْ أَسْماءُ المُلوكِ تُكْتَبُ عادةً في شَكْلٍ بَيْضاوِيٍّ يُعْرَفُ بِاسْمِ «الخَرْطوشَة»





صُنْدوقٌ خَشَبِيٌّ مَرْسومَةٌ عَلى جانِبِهِ صورَةُ تُوت عَنْخ آمُون في مَعْرَكَةٍ

إِنَّنا نَعْرِفُ أَنَّهُ كانَ لِتُوت عَنْخ آمُون مُسْتَشارانِ قَوِيّانِ، وَكانَ كِلاهُما كَبيرًا في السِّنِّ، وَكانَ لَهُما دَوْرٌ في حُكْمِ البِلادِ أَيّامَ أَخْناتُون، وَكِلاهُما أَصْبَحَ فِرْعَوْنًا بَعْدَ مَوْتِ تُوت عَنْخ آمُون، فَقَدْ خَلَفَ رَئيسُ الكَهَنَةِ «آي» تُوت عَنْخ آمُون، وَتَوَلّى القائِدُ العَسْكَرِيُّ العَظيمُ حُورْمحب عَرْشَ البِلادِ خَلَفًا لِآي. وَمِنَ المُسْتَحيلِ أَنْ نَعْرِفَ ما إِذا كانَ تُوت عَنْخ آمُون مِنَ القُوَّةِ بِدَرَجَةٍ تَسْمَحُ لَهُ بِاتِّخاذِ قَراراتِهِ بِنَفْسِهِ. وَلكِنْ مِنَ الأَرْجَحِ أَنَّهُ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ ما يُمْليهِ عَلَيْهِ كُلٌّ مِنْ آي وَحُورمحب في السَّنَواتِ القَلائِلِ الأولى مِنْ حُكْمِهِ عَلى الأَقَلِّ، فَشَكَّلا بِذلِكَ التَّطَوُّراتِ السِّياسِيَّةَ لِحُكْمِهِ.

وَيَبْدو أَنَّ العَلاقَةَ بَيْنَ تُوت عَنْخ آمُون وَزَوْجَتِهِ كانَتْ طَيِّبَةً. وَعلى أَيَّةِ حالٍ فَالصُّوَرُ الَّتي تُمَثِّلُهُما على الأَشْياءِ المَوْجودَةِ في المَقْبَرَةِ تُعَبِّرُ عَنِ ارْتِياحٍ وَمَوَدَّةٍ، وَتُظْهِرُهُما زَوْجَيْنِ مُتَحابَّيْنِ.

وَالنُّقوشُ الَّتي تُبَيِّنُ تُوت عَنْخ آمُون في المَعارِكِ قَدْ تُمَثِّلُ حَمَلاتٍ فِعْلِيَّةً ضِدَّ الأَعْداءِ في آسْيا، وَقَدْ تَكونُ مُجَرَّدَ صُوَرٍ لِلْفِرْعَوْنِ تُمَثِّلُهُ قائِدًا عَسْكَرِيًّا، فَقَدْ كانَ ذلِكَ مِنْ صَميمِ عَمَلِ الفِرْعَوْنِ. وَلَمْ تُسْتَرَدَّ عَلى وَجْهِ التَّأْكيدِ أَيٌّ مِنَ البُلْدانِ الَّتي انْفَصَلَتْ عَنْ مِصْر في عَهْدِ المَلِكِ أَخْناتُون



غِطاءُ صُنْدوقٍ يَظْهَرُ عَلَيْهِ تُوت عَنْخ آمُون وَزَوْجَتُهُ

هذا – بِوَجْهٍ عامٍّ – كُلُّ ما نَعْرِفُهُ عَنْ حَياةِ تُوت عَنْخ آمُون. وَلَقَدْ فُحِصَتْ جُثَّتُهُ بِدِقَّةٍ، وَوُجِدَتْ جُمْجُمَتُهُ مُحَطَّمَةً، وَيَظُنُّ الخُبَراءُ أَنَّ هذا حَدَثَ بَعْدَ وَفاتِهِ، وَأَثْناءَ تَجْهِيزِ جُثَّتِهِ لِلتَّحْنِيطِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ اغْتِيالِهِ وَعَلى ذلِكَ فَلا يُعْرَفُ كَيْفَ تُوُفِّيَ.

وَتُبَيِّنُ نُقُوشُ جُدْرانِ مَقْبَرَتِهِ مَوْكِبَ نَقْلِ المومْياءِ المُحَنَّطَةِ إلى وادي المُلوكِ، يَجُرُّها النُّبَلاءُ عَلى زَحّافَةٍ. وَكانَ يَقودُ الاحْتِفالاتِ الجَنائِزِيَّةَ كَبِيرُ الكَهَنَةِ «آي»، وَرُبَّما قامَتْ زَوْجَتُهُ عَنْخ إس إن آمُون في النِّهايَةِ بِوَضْعِ إكْليلِ الزُّهورِ الصَّغيرِ عَلى التّابوتِ الخارِجِيِّ.



جُثْمانُ تُوت عَنْخ آمُون يَنْتَقِلُ عَبْرَ النّيلِ في مَرْكَبٍ شَعائِرِيٍّ

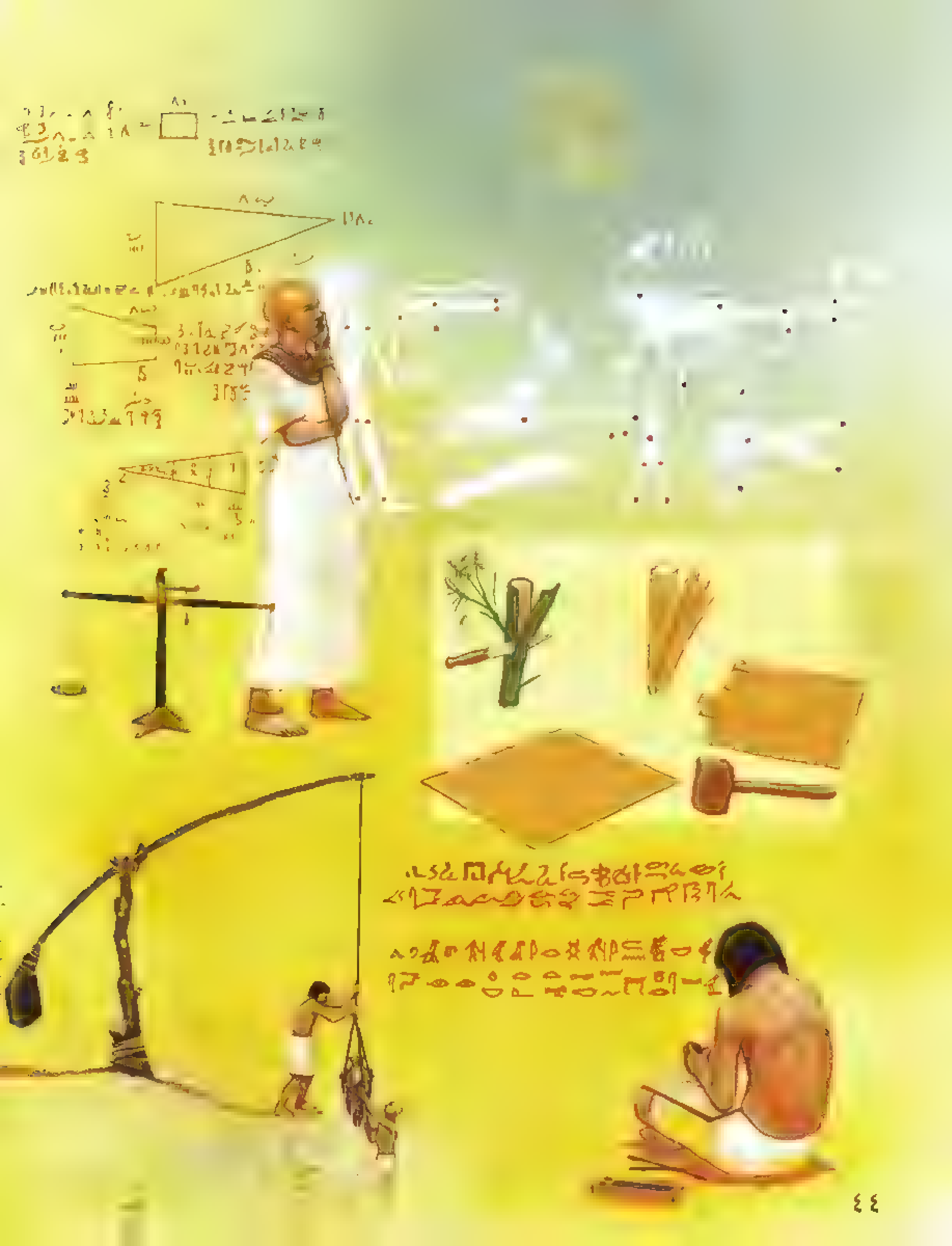


رَسْمٌ تَفْصيلِيٌّ مِنْ مَقْبَرةٍ يُبَيِّنُ شَعيرَةَ «فَتْحِ الفَمِ» لِمومْياء

وَعَلى أَيَّةِ حالٍ يَبْدو أَنَّهُ رَغْمَ حُبِّ الأَرْمَلَةِ الصَّغيرَةِ لِزَوْجِها فَإِنَّها بَدَأَتْ - عَلى الفَوْرِ - في تَدْبيرِ المُؤامَراتِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَبَعَثَتْ بِرِسالَةٍ إِلى مَلِكِ الحِيثِيِّينَ -أَعْدى أَعْداءِ مِصْرَ- تَطْلُبُ مِنْهُ المُوافَقَةَ عَلى زَواجِها بِأَحَدِ أَبْنائِهِ، وَكَتَبَتْ تَقولُ: «تُوُفِّيَ زَوْجي وَلَيْسَ لي وَلَدٌ، وَعَلِمْتُ أَنَّ لَكَ أَبْناءَ كَثيرينَ. فَإِذا بَعَثْتَ إِلَيَّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ، فَسَيُصْبِحُ زَوْجي، وَسَيَتَوَلّى حُكْمَ مِصْر »

وَأَرْسَلَ مَلِكُ الحِيثِيِّينَ أَحَدَ مُوَظَّفيهِ لِيَتَحَرّى عَنِ الوَضْعِ بَدَلًا مِنِ ابْنِهِ؛ لأَنَّهُ كانَ يَخْشى مَكيدَةً. وَنَفِدَ صَبْرُ المَلِكَةِ فَأَرْسَلَتْ رِسالَةً أُخرى

وَيُعْتَقَدُ أَنَّ أَميرًا حِيثِيًّا قَصَدَ مِصْرَ، وَلَكِنَّهُ وَقَعَ في أَيْدي رِجالِ القائِدِ حُورِمحب وَهُوَ في الطَّريقِ إِلَيْها، وَقُتِلَ. وَلَعَلَّ عَنْخ إِس إِن امُون تَزَوَّجَتْ آي، وَلَيْسَ ثَمَّةَ دَليلٌ قَوِيٌّ عَلى ذلِكَ. وَلا يُعْرَفُ شَيْءٌ عَنْ مَصيرِها في ظِلِّ حُكْمِ آي.



عَوْدَةُ تُوت عَنْخ آمُون إِلى الحَياةِ

رَغْمَ أَنَّ تُوت عَنْخ آمُون ظَلَّ مَدْفونًا في مَقْبَرَتِهِ الَّتي ظَلَّتْ مُخْتَفِيَةً أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ آلافِ سَنَةٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْجُ مِنَ المَصيرِ الَّذي لاقاهُ الفَراعِنَةُ الآخَرونَ.

لَقَدْ كُشِفَتِ المَقْبَرَةُ كُلُّها، وَعُرِضَتْ جَميعُ مُحْتَوَياتِها المُقَدَّسَةِ عَلى النّاسِ، فَانْهارَ الأَمانُ الَّذي كانَ يَطْمَحُ إِلَيْهِ، أَلَيْسَ هذا مُؤْسِفًا؟

كانَ النّاسُ بِالفِعْلِ عَلى دِرايَةٍ بِإِنْجازاتِ المِصْرِيِّينَ القُدَماءِ: كَيْفَ أَنْشَأوا مُنْذُ خَمْسَةِ آلافِ سَنَةٍ حَضارَةً شامِخَةً عَلى ضِفَّتَيْ نَهْرِ النّيلِ، عَلى حينِ كانَتِ الشُّعوبُ في بُلْدانِ العالَمِ الأُخْرى تَعيشُ حَياةً بُدائِيَّةً. كانَ المِصْرِيّونَ القُدَماءُ مُزارِعينَ مَهَرَةً. وَاسْتَطاعوا بِناءَ المَعابِدِ وَالمَقابِرِ الحَجَرِيَّةِ، وَاخْتَرَعوا الوَرَقَ واتَّبَعوا أُسْلوبًا لِلْكِتابَةِ يُسَمّى الهيروغْليفِيَّةَ.

كَذلِكَ وَضَعوا تَقْويمًا، وَكانَتْ لَهُمُ اكْتِشافاتٌ عِلْمِيَّةٌ في مَجالاتِ الرِّياضِيّاتِ وَالفَلَكِ والزِّراعَةِ والبِناءِ وَالفَنِّ. وَلَقَدْ عاشَ مُلوكُهُمُ الفَراعِنَةُ في عَظَمَةٍ هائِلَةٍ، يُسانِدُهُمْ عامَّةُ النّاسِ بِإِنْجازاتِهِمْ. وَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ أَغْنى الفَراعِنَةِ قَدْ دُفِنَ في رَوْعَةٍ لا نَسْتَطيعُ أَنْ نَتَصَوَّرَها، إِذا وَضَعْنا في الاِعْتِبارِ أَنَّ تُوت عَنْخ آمُون دُفِنَ في وَسَطِ هذِهِ الكُنوزِ.

بَعْضُ إِنْجازاتِ الحَضارَةِ المِصْرِيَّةِ:

الزِّراعَةُ وَالعِمارَةُ وَالتَّحْنيطُ والتَّشْريحُ والرِّياضِيّاتُ والهَنْدَسَةُ والفَلَكُ وَصِناعَةُ الوَرَقِ (البَرْدي) وَالكِتابَةُ وَالفِلاحَةُ وَالرَّيُّ



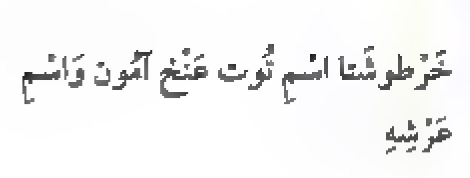
لَدَيْنا مَعْلوماتٌ عَنِ الأَعْمالِ المَجيدَةِ الَّتي قامَ بِها الفَراعِنَةُ، وَلٰكِنَّنا نَكادُ لا نَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ حَياتِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ؛ فَلا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ العُمّالِ الَّذينَ نَحَتوا مَقابِرَهُمْ، وَلا الفَلّاحينَ الَّذينَ كانوا يَدْفَعونَ الضَّرائِبَ وَلا عَنِ الصُّنّاعِ المَهَرَةِ الَّذينَ أَبْدَعوا هٰذِهِ الكُنوزَ الثَّمينَةَ.

وَوَفْقًا لِمُعْتَقَداتِ القُدَماءِ فَإِنَّ الحَياةَ الأُخْرى لِتوت عَنْخ آمُون تَضْطَرِبُ أَوْ تُزْعَجُ إِذا ما عُثِرَ عَلى مَقْبَرَتِهِ وَفُتِحَتْ. وَلَقَدِ اسْتَمَرَّتْ هٰذِهِ العَقيدَةُ سائِدَةً حَتّى إِنَّهُ عِنْدَ العُثورِ عَلى المَقْبَرَةِ تَوَقَّعَ كَثيرونَ أَنْ تَحُلَّ اللَّعْنَةُ عَلى مَنْ فَتَحوها. وَكانَتْ أَوَّلُ دَلائِلِ هٰذِهِ اللَّعْنَةِ عِنْدَما الْتَهَمَتْ حَيَّةٌ عُصْفورَ «كَناريا» كانَ يَخُصُّ كارْتَر، وَمَعْروفٌ أَنَّ الحَيَّةَ كانَتْ رَمْزَ الإِلٰهَةِ واجيت الَّتي تَحْمي الفِرْعَوْنَ. وَأَعْقَبَ ذٰلِكَ مَوْتُ اللّورْد كارْنارْفون في ٦/ ٤/ ١٩٢٣، عَلى أَثَرِ لَدْغَةِ بَعوضَةٍ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ بِقَليلٍ ماتَ أَحَدُ مُساعِدي كارْتَر. وَقَدْ قَوَّتْ هٰذِهِ الأَحْداثُ إيمانَ النّاسِ بِلَعْنَةِ الفَراعِنَةِ، وَلٰكِنَّ كارْتَر لَمْ يَكُنْ يَعْتَقِدُ أَلْبَتَّةَ في هٰذِهِ اللَّعْنَةِ، وَعاشَ حَتّى عامِ ١٩٣٩، وَماتَ وَهُوَ في السّادِسَةِ وَالسِّتّينَ مِنْ عُمْرِهِ.

وَبِالرَّغْمِ مِنَ الاضْطِرابِ أَوِ الإِزْعاجِ المُتَوَقَّعِ لِحَياةِ تُوت عَنْخ آمُون الأُخْرى، فَاسْمُهُ مَعْروفٌ في العالَمِ كُلِّهِ، وَهُوَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُحَقِّقْ نَجاحًا خاصًّا في حَياتِهِ، إِلّا أَنَّه أَصْبَحَ مِنْ أَعْلامِ التّاريخِ، وَالفَضْلُ في ذٰلِكَ يَرْجِعُ إِلى هَوارْد كارْتَر. وَعَلاوَةً عَلى ذٰلِكَ، فَإِنَّ الكَشْفَ عَنْ مَقْبَرَتِهِ جَعَلَ الآلافَ يَقْتَرِبونَ جِدًّا مِنْ أُمورِ المِصْرِيّينَ القُدَماءِ، وَأَثارَتْ مُحْتَوَياتُ مَقْبَرَتِهِ خَيالَ المَلايينِ. وَمِنْ خِلالِ الإِزْعاجِ أَوِ القَلْقَلَةِ الَّتي حَدَثَتْ في مَقْبَرَتِهِ حَقَّقَ تُوت عَنْخ آمُون عَوْدَةً فَذَّةً لِلْحَياةِ في عُقولِ النّاسِ في كُلِّ أَنْحاءِ العالَمِ.

جُثْمانُ تُوت عَنْخ آمُون.





خَرْطوشَتا اسْمِ تُوت عَنْخ آمُون وَاسْمِ عَرْشِهِ

سِجِلٌّ تاريخِيٌّ

عُصورُ التّاريخ	إنْجازاتُ العَصْر
عصرُ ما قبلَ الأُسَرِ ٤٠٠٠-٣١٠٠ ق.م.	صِناعَةُ الفَخّارِ، النَّحْتُ الحَجَرِيُّ، الأَشْغالُ النُّحاسِيَّةُ.
عصرُ الأُسَرِ المبكّرُ ٣١٠٠-٢٦٨٦ ق.م.	تَطَوُّرُ الحَضارَةِ المِصْرِيَّةِ.
الدَّولةُ القَديمةُ ٢٦٨٦-٢١٨١ق.م.	التَّقْويمُ، الهِيروغْليفِيَّةُ، المَباني الحَجَرِيَّةُ، بِناءُ الأَهْرامِ الكُبْرى في الجيزَةِ.
الدَّولةُ الوُسْطى ٢٠٤٠-١٧٨٢ق.م.	عُصورُ إِنْجازاتٍ عُظْمى أَعْقَبَتْها عُصورُ انْحِطاطٍ.
الدَّولةُ الحَديثَةُ ١٥٧٠-١٠٧٠ق.م.	عَصْرٌ مُدَّتُهُ حَوالي ٥٠٠ سَنَةٍ مِنَ الإِنْجازاتِ الثَّقافِيَّةِ وَالفَنِّيَّةِ العُظْمى.
الأُسْرَةُ الثّامِنَةَ عَشْرةَ ١٥٧٠-١٢٩٣ ق.م.	
أَمُوزِيس	مَقابِرُ مُطَوَّرَةٌ بُنِيَتْ في وادِي المُلوكِ.
أَمِنْحوتِب الأَوَّل	
تُحْتْمُس الأَوَّل	اتِّساعُ الإِمْبراطورِيَّةِ.
تُحْتْمُس الثّاني	
وزَوْجَتُه المَلِكة	
حَتْشِبْسُوت، أمٌّ	مَعْبَدُ حَتْشِبْسوت بِالدَّيْرِ البَحْرِيِّ.
تُحْتْمُس الثّالِث، أبو	
أَمِنْحوتِب الثّاني	
تُحْتْمُس الرّابع	المَباني الرَّحْبَةُ، النَّحْتُ.
أَمِنْحوتِب الثالِث، أبو	تِمْثالا مِمْنون.
أَمِنْحوتِب الرّابع، المُسَمّى أخناتُون أبو (أو إخو)	تَطَوُّرُ عِبادَةِ أتُون.
سِمِنْخْكارِع، أخو	
تُوت عَنْخ آمُون ١٣٣٣-١٣٢٣ ق.م.	حُكْمُ تُوت عَنْخ آمُون القَصيرُ.
تَلاهُ مُسْتَشارُه وكاهِنُه آي، وَخَلَفَهُ قائِدُهُ	
حُورمحِب وخَلَفَه وزيرُه	
الأُسْرةُ التّاسِعَةَ عَشْرةَ ١٢٩٣ - ١١٨٥ ق.م.	عَصْرُ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ وَتَشْييدِ المَباني.
رَمْسيس الأول، أبو	
سِيتِي الأَوَّل،	
رَمْسيس الثّاني، أبو	مَعْبَدُ رَمْسيسَ الثّاني في طيبَةَ.
مِرِنْبتاح	المَعْبَدُ المَنْحوتُ في الصَّخْرِ في أبي سِمْبِل.
سِيتِي الثّاني	
أَمِن مِسي	
سِبتاح	
توأسِرْت	
الأُسْرةُ العِشْرونَ ١١٨٥-١٠٧٠ق.م.	عَصْرُ الاضْطِراباتِ وَالحَرْبِ الأَهْلِيَّةِ.
سِتْ ناخت	
رَمْسيس الثّالِث	إحْياءُ العَظَمَةِ والاِسْتِقْرارِ.

مَسرَد (كَشّاف)

الأرقام بالخط الغليظ تشير إلى صورةٍ أو شرحٍ تحت الصورة

شكر: يعرب المؤلّف عن امتنانه وتقديره للعون الذي حظي به
من عالم الآثار المصرية الدكتور عبد العزيز صادق

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
ساحة رياض الصلح ، ص.ب. ٩٤٥–١١
بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ،
طبع في لبنان

رقم الكتاب 01 C 195608

كتب الفراشة

المرحلة الأولى

١. القَمَر
٢. الجِبال
٣. المَطَر
٤. الأنْهار
٥. النَّفْط
٦. الوَرَق
٧. حَيوانات الصَّحْراء وطُيورها
٨. نَباتات الصَّحراء وأزْهارها
٩. الواحات
١٠. المُحيطات والبِحار
١١. سُفُن الفَضاء
١٢. الأَدْغال
١٣. الزُّجاج
١٤. القُطْن
١٥. الجِمال
١٦. النيل
١٧. الشَّمْس
١٨. الخَشَب
١٩. الحَديد والفولاذ
٢٠. الجُلود
٢١. الأَسْماك
٢٢. الطُّيور
٢٣. التَّمويه: وسيلة دفاع طبيعيّة
٢٤. الجَواد العَربيّ
٢٥. السَّيّارات
٢٦. الثِّياب
٢٧. الدَّواليب (العَجلات)
٢٨. الصّوف
٢٩. الحَيوانات في خِدمة الإِنسان
٣٠. الدَّيناصورات
٣١. الطّائرة والطَّيران
٣٢. السُّفُن
٣٣. الخُبْز
٣٤. الجُزُر
٣٥. بيوت الحَيوانات
٣٦. الأَشْجار
٣٧. النُّقود

المرحلة الثانية

١. الأَرْض
٢. الوَقْت
٣. النّار
٤. الهَواء
٥. الماء
٦. الحِرَف اليَدويّة في العالَم العربيّ
٧. المُستشفى
٨. الآلات الموسيقيّة
٩. التِّجارة
١٠. الطَّقس والمناخ
١١. المنطقتان القطبيّتان
١٢. عالَم الكتب
١٣. استِزراع الصَّحاري
١٤. المَطارات
١٥. المَزارع
١٦. الإسقاء والرَّيّ
١٧. الصَّحاري

المرحلة الثالثة

١. كنوز توت عنخ آمون
٢. الهرم الأكبر
٣. الفينيقيون
٤. وادي الرافدين



كتب الفراشة

١. كُنوز تُوت عَنخ آمُون

كتب الفراشة سلاسلُ مُتميِّزة من كتب المعرفة المُصوَّرة غنيَّةٌ بالمعلومات المفيدة في شتّى المجالات العلميّة والأدبيّة والتاريخيّة والحياتيّة. وهي تَتدرَّج في مراحلَ ثلاثٍ تُناسبُ مُختلِف مُستويات القُرَّاء.

لقد اختيرت النُّصوصُ وأُعِدَّت بإشراف الخُبراءِ والمختَصّين لتَفي بمُتطَلَّبات الموضوع ولتلبية تطلُّعات القُرَّاءِ واحتياجاتهم. وقد اختيرت الرُّسوم وصُمِّمت لِتُؤَلِّف لا عُنصرًا جماليًّا فقط بل لتكون مصدرَ معلوماتٍ إضافيًّا مُشَوِّقًا أيضًا.

والمرحلة الثالثة من كتب الفراشة هي المرحلة الأعلى مُستوًى من حيث طبيعةُ المعلومات ورسومُها ومستوى مُعالجتها.

كتب الفراشة في الحقيقة مكتبة مُتكامِلةٌ في البيت كما في المدرسة والنادي، تَجمعُ إلى ثروة المعلومات ومَناهِلِ المعرفةِ مُتعَةَ القراءةِ وسَعةَ الاطّلاع والغِنى الثَّقافيّ الرَّفيع.



مكتبة لبنان ناشرون